Mohd. Tayyab Nagrami
C.B.A

Mohd Tayyab Nagrami
B.A-I

البعث الإسلامي

شعارنا الوحيد

إلى الإسلام من جديد

تصدرها: ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

Phone : 42948

Regd No LW/NP59

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

السيرة النبوية

طبعة ثانية مزيدة منقحة

بقلم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

أحدث كتاب في السيرة النبوية وأروع ما صدر من قلم المؤلف في أسلوب ... رصين ، أسلوب العارف بمصادر السيرة الأصيلة ، البصير بطريقة ... النقية الطاهرة من خلال أحداثها و وقائعها .

... المؤلف في الكتاب بالجانب التاريخي والعلمي والجغرافي وبالأوضاع الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية في العالم الذي عاصر البعثة عناية كاملة كما صور الأوضاع في جزيرة العرب و في مكة و المدينة على وجه الخصوص تصويراً دقيقاً جامعاً حتى برزت الصور ، حية شاخصة متكاملة الأطراف و متآلفة الأجزاء و الجوانب .

و الكتاب إلى جانب عرضه لوقائع السيرة و سائر أحداثها كحلقة مترابطة تأخذ بعضها بحجز بعض ، كأحلى قصة رويت على مسامع البشرية في عمرها الطويل يجمع ما تفرق في أهم مصادر السيرة الأولى من فوائد و نكات هامة ، فجاء كباقة زهر تجمع بين مختلف الزهور و الورود .

إن ... كتاب السيرة النبوية ، هدية العلم الصحيح ، و الفطرة السليمة و الدعوة الحكيمة إلى الشباب العصري الحائر ، وإلى الباحثين عن الحق والحقيقة ، المتعطشين إلى نور الهداية و التوفيق في القرن العشرين .

الناشر : دار الشروق ، جدة (المملكة العربية السعودية)

يطلب الكتاب : من المكتبات الشهيرة في العالم الاسلامي

قام بالطبع و النشر جميل احمد الندوي في مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ ... رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

البعث الإسلامي

أنشأها فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسنى (رحمه الله)

(فى عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)

الحج عرضة سنوية للملة

ومن مقاصد الحج الرئيسية تجديد الصلة بإمام الملة الحنيفية ومؤسسها إبراهيم الخليل ، و التشبع بروحه ، والمحافظة على إرثه ، و المقارنة بين حياتنا و حياته ، و عرضها عليها ، و استعراض ما يعيش فيه المسلمون فى العالم ، و تصحيح ماوقع فى حياتهم من أخطاء أو فساد ، أو تحريف ، وإعادة ذلك كله إلى أصله ومنبعه ، فالحج عرضة سنوية للملة تضبط أعمال المسلمين و حياتهم ، و يتخلصون بها من نفوذ الأمم و المجتمعات التى يعيشون فيها .

قال شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى :

« (و من مقاصد الحج) موافقة ما توارث الناس عن سيدنا إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام ، فانهما إماما الملة الحنيفية ، و مشرعاها للعرب ، و النبى ﷺ بعث لتظهر به الملة الحنيفية ، و تعلو به كلمتها ، و قوله تعالى : « ملة أبيكم إبراهيم » .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي — واضح رشيد الندوي

* العدد الثالث
* ذو الحجة ١٣٩٩هـ
* المجلد الرابع و العشرون
* أكتوبر و نوفمبر ١٩٧٩م

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

فى الهند	٣٠ روبية ، ثمن النسخة ٣ روبيات
فى العالم العربى	٨ دولارات أمريكية أو ما يعادلها بالبريد العادى ١٥ دولارا بالبريد الجوى
فى أفريقيا الجنوبية والشمالية وأمريكا وأوربا	٢٠ دولارا بالبريد الجوى ٨ دولارات بالبريد العادى
فى باكستان	٥٥ روبية بالبريد العادى مع اجرة البريد

الاشتراكات فى باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » كراچى رقم ١٤ (باكستان)

المراسلات :
العنوان : البعث الإسلامى ندوة العلماء ص.ب ٩٣ لكهنؤ ٢٢٦٠٠٣ الهند
برقيا : NADWA LUCKNOW
الهاتف : ٦٢٩٤٨ ، ٦٢٩٤٧

في هذا العدد

اخى القارى !		٣
العقلية المادية و موقفها من الحياة الاسلامية	سعيد الأعظمى	٤
****** التوجيه الاسلامى**		
كرسى بسع السماوات و الأرض	الأستاذ عبد الماجد الدريابادى	١٠
مراحل العمل من أجل نهضة إسلامية معاصرة	فضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقرة	١٨
الامبريالية الغربية تهدد المسلمين	الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة	٣٥
****** الدعوة الاسلامية**		
« ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين »	سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى	٤٣
الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر	السيد جلال الدين العمرى	٥٣
****** الفقه الاسلامى**		
الحساب الفلكى فى إثبات دخول شهور العبادات	سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز	٦٠
****** دراسات وأبحاث**		
هاهم اليهود فى توراتهم	الأستاذ عبد العزيز عازى	٦٥
المسكرات . مضارها ونتائجها !	الأستاذ سعيد بن عبد الله بن سيف الحاتمى	٧٨
****** فى رياض الشعر والأدب**		
إلى الله اشكو (شعر)	الشاعر عبد المؤمن	٨٣
****** مع فقيد الدعوة والفكر الاسلامى**		
تناقض تحار فيه العيون . . .	سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى	٥٨
****** صور و أوضاع**		
هل لهذا السند الدينى من سند ـ صار مزبلة للتاريخ	واضح رشيد الندوى	٨٩
****** إلى رحمة الله**		
الشيخ عبد السلام القدوائى الندوى .	سعيد الأعظمى الندوى	٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أخى القارىء

لا تخطئك معرفة نور محمد ترقى ، فقد قرأت عنه وسمعت به كثيراً .. إنه تعدى الرقم القياسى فى الاشادة بالفلسفة الشيوعية والهزء بالله و رسوله ، و رفض الاسلام و تعاليمه ، و قد أدلى فى إحدى المناسبات ببيان صرح فيه :

« أهم مرامنا وأوله هو إذهاب الاسلام من البلاد . . . ومن أهم فرائضنا إذهاب الاسلام من المسلمين جميعاً ، رجالا كانوا أو نساء ، صغاراً كانوا أو كباراً . . . »

ولإنجاح هذه المهمة فى الدول الاسلامية ذكر عوامل و تجارب ، تتلخص بما يلى :

إعلان الاسلام أمام المسلمين و القضاء عليه بكل وسيلة ممكنة فى الخفاء . بدء البرامج الدينية بتلاوة القرآن ، وتحريقه و دوسه بالأقدام سراً ، تقديس اللغة العربية قولا و استئصالها فعلا ، إعلان الحرية الكاملة فى ممارسة الشعائر الاسلامية ، و هدم المساجد و المآذن و المنابر بحكمة ، وعاد فأكد لأتباعه أن علماء الاسلام هم العامل الرئيسى فى بقاء الاسلام و وقف مد الشيوعية فى هذه الدول ، فأمر بالقضاء عليهم بكل حيلة مهما كلف ذلك من تضحيات .

و إذا أردت أن تطلع على تفاصيل ما يقوله « ترقى » فارجع إلى العدد ١ من المجلد ٢٤ لهذه المجلة فى مقال « ماذا يقول التراكى » .

أقول : بعد كل هذا الثمن الغالى الذى قدمه « ترقى » لمجرد أن يثبت ولاءه و وفاءه لأوليائه وسادته الحمر منهم والصفر ، و لكى تترسخ دعائم « عرشه » المزعوم ، لقى مصيره المشئوم و طرد من قصر رئاسته ، و أعيد إلى مزابل التاريخ .

فهل من مدكر !

سعيد الأعظمى

العقلية المادية و موقفها من الحياة الاسلامية

العقلية المادية الغربية تقف اليوم مندهشة إزاء موجات الصحوة الاسلامية التى تشمل عدداً من بلاد المسلمين و بالتالى تقلق الغرب و ترغمه على الاعتراف بقوتها و وضعها موضع الحساب ، و بينما كان الغربيون يزدرون بالحركات الاسلامية ويحتقرون النشاطات الدينية التى يمارسها المسلمون فى الشرق خاصة ، و كانوا يعتبرونها رجعية وتخلفاً شائناً إذاهم يرون أن هذه « الرجعية » تخطت من « مخادعها المظلمة » و « حجراتها الضيقة » إلى الجو الفسيح ، وشملت المجتمعات الانسانية على اختلاف طبقاتها . . من حياة الجماهير العامة إلى ثكنات الجيوش و عروش الحكم .

إن هذه العقلية المادية تستطيع أن ترحب بكل ثورة ضد الظلم و الحكم الجائر ، وضد الطغاة من الرؤساء و الملوك و الحكام ، و تستطيع أن تستسيغ قلب نظام ، أيا كان نوعه ، و تقبل الشيوعية و الرأسمالية ، و الماركسية ، و البلشفية ، و حتى القاديانية و الوثنية ، و لكنها لا تكاد تعقل الحياة الاسلامية أو النظام الاسلامى للحياة ، الذى لا يتركها فى حرية كاملة تنطلق نحو أهواء النفس و شهواتها الجامحة كيفما شاءت و أنى أرادت ، بل إن هـذه العقلية المادية لا تكاد تفهم أن يكون هناك دين يضع حداً على المرح ، والانفتاح على العالم المتحضر للاستمتاع من حظوظ النفس ولذات الحياة ، ولايسمح بممارسة الحريات فى شئون الحياة الخاصة و فى أيام الاجازات بل يحرمها ، و حتى المشروبات الروحيـة ، و الشواطئ السباحية المختلطة و السهرات الأسبوعية فى النوادى الليلية ، و التسلية من الأغانى و الموسيقى يحرمها ، و لا يسمح بأى شئ من هذه الوسائل والترفيهات .

و لكن على عكس ذلك نرى أن العقلية المادية لا تسمح للانسان بأن يرتفع عن مصاف الحيوان و البهيمة ، فهى تضعهما فى كفة واحدة، وتزنهما بميزان واحد و لا تفرق بينهما إلا فى الهيئة و البنية ، و فى أن الانسان يتمتع بالعقل و التمييز بازاء الحيوان ، فهو يبدع و يصنع و يشتغل بالثقافات و العلوم و بناء الحضارات ، أما الحيوان فانه يستخـدم مثلا فى الحمل و النقل و الحرث و الزراعة أو كالمواد الغذائية من لحمه و شحمه أو كالمواد الصناعية بجلده و عظمه و ما أشبه ذلك ، إلا أنهما سواء فى الاستمتاع من لذات الحياة والترويح عن النفس بعد التخلص من العمل فيمرح كما يمرح الحيوان ، و يتحرر فى أوقات فراغـه و إجازته و يشبع شهواته و رغباته و تخضع لأهوائه و نزعاته كما يفعل صاحبه الحيوان ، هذه العقلية المادية الضيقة لا تتسع لأكثر من هـذا ، و لا تفكر فوق هذا ، و لا ترتفع على حد المتعة الرخيصة و اللذة العاجـلة ، و لا تحلق فى سماء الشرف و السمو و النزاهة و الفضيلة كما تحلق العقلية المؤمنة الواسعة ، أنظر كيف يصور القرآن أصحاب هـذه العقليات المادية الضيقة فى بلاغة و إعجاز « لهم قلوب لا يفقهون بها ، و لهم أعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

الانسان ليس شيئاً مخلوقاً كسائر البهائم و ذوى الأرواح ، كما تزعم العقلية المادية ، إنما هو خليفة الله فى هذه الأرض ، فيتخلق بأخلاق السماء ، و يتقيد فى نشاطاته و أعماله بقيود و التزامات خلقها الله تعالى لإسعاد حياته ، و تزكية نفسه و روحه من شوائب الفساد و الزيغ و من أخلاط الاثم و البغى و من علائق الشهوات والأهواء ، و أنزل لذلك دستوراً و كتاباً يخطط له طريق الحياة بكامله و يبين له ما ينفعه مما يضره ، و ما يسعده مما يشقيه ، و هو لم يكتف بما يحتاج

إليه فى دينه بل أرشده إلى ما ينفعه فى دنياه ، و وضع معالم و حدوداً فى طريق حياته الواضح من تشريع و عقيدة و سلوك و آداب فردية و اجتماعية و علاقات مادية وصلات روحية ، و الاسلام وتعاليمه كلها هى فى الحقيقة تفسير للحياة الاسلامية و المفاهيم الانسانية التى لم تتوصل إليها العقلية المادية و لم تعرفها البتة .

والفلسفة المادية مهما أبت و رفضت حياة النزاهة و الطهر والعفاف ، وحياة العلم و الأخلاق و الفضائل ، تلك التى تكون مجتمعاً إنسانياً تسود فيه روح الحب و التعاون و النزاهة و السمو ، و يتسم بالاتزان الصحيح الدقيق بين جميع أجزائه و بالانسجام التام بين جميع أعضائه ، ومهما تظاهر الماديون و الاباحيون بالعداء والاستنكار للقيم الخلقية والمثل العليا التى تقوم عليها حياة المسلم فردية كانت أواجتماعية ، و لكنها لا تستطيع أن تذيب هذه الحياة الاسلامية و تبخرها فى الهواء و تأتى عليها من جوانبها ، بل و لا تقدر على صرف النفوس عنها و شحنها بالكراهية و المقت ضدها . فقد جربت كل ذلك ، و باءت بالفشل الذريع ، و هى تواجه اليوم رياح البعث الاسلامى و اليقظة الاسلامية تهب هنا وهناك ، و يوجد فى البلاد التى اكتوت بنار الغرب وحضارته حماس كبير للترحيب بهذه الظاهرة ، و إقبال عظيم على تجربة الأخلاق الاسلامية و تطبيقها على الحياة .

و لكن الشئ الذى يؤسف له هو أن كثيراً من المسلمين فى أقطارنا الاسلامية و لاسيما الشباب منهم مخدوعون بالحضارة المادية ، و معجبون بها ، فيؤثرون أن يقضوا وقتاً غالياً من حياتهم فى الاستمتاع من مغريات الحضارة فى العواصم الأوربية و الأمريكية على أن يعيشوا فى مجتمعاتهم القديمة التى تتقيد فى أغلب الأحوال بالالتزامات الخلقية والتقيدات القومية و العائلية ، و أشد أسفاً من ذلك أن يوجد هناك عدد ممن يستحيون من انتمائهم إلى الاسلام و إلى البلدان الاسلامية ، ويتمنون

لو أنهم خلقوا فى أوربا أوأمريكا ، ولم يخلقوا فى الجزيرة العربية والأسر الاسلامية ، أولئك هم الذين بهرت أعينهم المدنية الجوفاء و استحوذ عليهم جمالها الساحر الذى أنساهم الله فأنساهم أنفسهم .

لو أن شبابنا هؤلاء استعرضوا نتائج هذه المدنية الزائفة و بريقها الكاذب ورأوا كيف أنها نالت من فتوتهم و شجاعتهم ، وتركتهم لحماً على وضم ، وطمست تاريخهم ، وأسدلت على ماضيهم ستاراً غليظاً ، لكانوا أشد الناس كراهية لها ، و أكثرهم فراراً من ظلالها الموبوءة ، و زخارفها المشئومة ، و أى حاجة لشبابنا المسلم إلى حضارة عفنة متغيرة ، سريعة الزوال ، عاجلة الفناء ، قصيرة المتع ، طويلة العذاب ، ذابلة السعادة ، دائمة الشقاء ، وعنده من الحضارة الاسلامية ما تستجيب بجميع متطلبات الحياة ، و تهيىء له كل نوع من السعادة و المتعة و الراحة و العزة ، مع ارتياح الضمير و طمأنينة القلب ، « قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم » .

إن دعاة الفلسفات المادية وعقلاءها يزدرون المسلمين و علماء المسلمين ودعاتهم ، و ينظرون إلى مكاسبهم فى مجال الدعوة الاسلامية التى أحرزوها فى أوربا وأمريكا بعين ملؤها حذر و إشفاق و غيظ و عداء ، و يعتبرون الاسلام أول عائق فى طريقهم نحو الشعوب و الدول المسلمة ، و نحو خيراتها و ثرواتها التى يسيل عليها لعابهم ، فكيف يستطيعون أن يحتملوا آثار البعث الاسلامى التى تلوح فى الأفق القريب و البعيد ، و التى تتلفت إليها الأنظار ، و يتجه إليها اهتمام الناس ، ويتهيأون للترحيب بها و الاعتناق برسالة الاسلام و الحياة الاسلامية فى أسرع وقت ممكن .

و لا شك أن هؤلاء الماديين قد أعماهم عداؤهم للاسلام و صدتهم أضغانهم

التى توارثوها أبا عن جد عن رؤية النور، فلايكادون يبصرون ضوء الشمس فى رابعة النهار، ولا يلبثون إلا ويرون كل شئ من الحياة الاسلامية من خلال أحقادهم القديمة الراسخة فى أعماق نفوسهم ، وبمنظارهم الأسود، فيترأى لهم كل شئ كذلك ، إنهم يريدون أن يشوهوا تاريخ المسلمين المشرق و ماضيهـــم الزاهر بضروب من الحيل و المكائد، خاصة و قد تجلت تباشير الصبح الصادق و امتدت خيوطه فى الأفق ، « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره و لو كره الكافرون » .

و كل الدلائل تشير إلى أن هناك رغبة شعبية جامحـــة فى عالمنا المعاصر نحو إعادة الحياة الاسلامية بكل ما فيها من عقيدة وتشريع ، و سلوك ، و نظام ، ففى تركيا و إيران و باكستان و أفغانستان ثورة إسلامية ضد كل نظام باطل لا يقوم على أسس إسلامية ثابتة ، و فى غيرها من دول المسلمين أصوات ترتفع ضد النظم غير الاسلامية ، كما أن فى دول الغرب والشرق و حتى فى الدول الشيوعية حركات إسلامية قوية نشيطة تؤكد أن المستقبل هناك للاسلام و للحياة الاسلاميـــة باذن الله تعالى .

« و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء » .

و صدق الله العظيم ؟

سعيد الأعظمي الندوي

التوجيه الإسلامي

كرسى يسع السماوات و الأرض

بقلم : الكاتب الاسلامى و المفسر الشهير المرحوم عبد الماجد الدريابادى.
تعريب : الأستاذ نورعالم الندوى

كرسى يسع السماوات و الأرض :

[وسع كرسيه السماوات و الأرض] .

فكيف يسعه شئ ؟

لما كان كرسى علمه و قدرته يحيط بالعالم كله ، و يسعه ، فكيف تسعه السماء ، أو العرش ، أو أى شئ مهما كان وسيعاً ، و إثبات هذه الصفة قد فند ما يعتقده المشركون من أن الله سبحانه و تعالى متجسد و متشكل و متقيد بمكان بعينه .

وأريد بالكرسى « العلم الالهى » و روى ذلك عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، و تبعه كثير من المفسرين : « كرسى أى علمه (١) » « الكرسى هو العلم (٢) » « قيل مجاز عن العلم (٣) » « أى علمه ، و منه الكراسة لتضمنها العلم (٤) » « أى وسع علمه ، و سمى العلم كرسياً تسمية بالمكان الذى به كرسى العالم (٥) » .

---

(١) ابن جرير عن ابن عباس فى جامع البيان .
(٢) التفسير الكبير للرازى (٣) روح المعانى للآلوسى
(٤) مدارك التنزيل للنسفى (٥) الكشاف للزمخشرى

و ليس المراد هو الكرسى المتعارف الذى نستخدمه للجلوس ، فليس متجسماً متجسداً يحتاج إلى الجلوس - نعوذ بالله من ذلك - « و لا كرسى فى الحقيقة و لا قاعدة (١) » و معنى الكرسى فى الأصل هو العلم ، و منه اشتقت كلمة « الكراسة » للصحيفة المتضمنة للعلم ، و قد حكى اللغويون من معانيها « العلم » كما حكوا « السرير » : « الكرسى السرير والعلم (٢) » « أصل الكرسى العلم ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة (٣) » « الكرسى العلم ، يقال : هو من أهل الكرسى أى العلم (٤) » .

و تناقل القوم من معانى « الكرسى » القدرة والحكومة ومن ثم فاختار عدد من رجال اللغة هذه المعانى أيضاً فى الآية الكريمة .

« كرسيه ملكه (٥) » « المراد من الكرسى السلطان والقدرة و الملك (٦) » « قيل كرسيه ملكه و سلطانه ، و العرب يسمى الملك القديم كرسياً (٧) » « قال قوم كرسيه قدرته التى تمسك السماوات و الأرض (٨) » .

المناظرة الابراهيمية :

[ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه] .

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوى
(٢) القاموس للفيروزآبادى المتوفى ٨١٧ھ
(٣) ابن جرير فى جامع البيان
(٤) أقرب الموارد لسعيد الخورى الشرطونى (م ١٣٣١ھ)
(٥) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى المتوفى ٥٠٣ھ
(٦) التفسير الكبير للرازى
(٧) معالم التنزيل للبغوى م ٥١٠ھ (٨) الكشاف

(كالمعاند و المعارض و المنكر) و من كان هذا المناظر و المحاج ، ما من شك فى أنه كان ملكاً معاصراً لسيدنا إبراهيم - عليه و على نبينا الصلاة والسلام - و لم يصرح القرآن بهذا الأمر ، و لكن المفسرين سموا « نمرود » و بما أن هذه القصة لم ترد فى كتب أهل الكتاب فهم يتحرجون من تصديقها ، على حين أن القرآن الكريم قد دل على كثير مما فات التوراة ، أما العهد القديم و الروايات اليهودية ، فلا تزال تعترف بأنه كان هناك ملك كبير يتصف بالسطوة و الغطرسة والجور و الظلم ، و يشرك بالله ، ويحمل اسم « نمرود » وكان آذر وزيره ، جاء فى العهد القديم :

« فأما كوش أولد نمرود ، و هو ابتدى أن يكون جباراً على الأرض ، و كان جباراً قانصاً أمام الرب ، من أجل ذلك خرج مثل كنمرود قانص قادر أمام الرب (١) » .

« و كوش أولد نمرود ، هو ابتدى أن يكون جباراً فى الأرض (٢) » .

و إليك ما تقوله اليهود نفسها :

« أصبح نمرود هذا ملكاً فى الأرض بعد ما هزم آل يافث بجند قليل العدد من قبيلته ، و استوزر آذر ، ثم استغنى « نمرود » عن الله فى نشوة عظمته و صار يشرك بالله كثيراً (٣) » .

و يذكر التاريخ الباحث فيما يتصل بـ « بابل » (كلدانيا) ملكاً كان الاله البشرى الأول فى « بابل » يسميه المؤرخون « نمرود » أيضاً (٤) .

(١) التكوين ١ : ٨ ، ٩ (٢) أخبار الأيام ١ / ١٠

(٣) دائرة المعارف اليهودية ٩/ ٣٠٩

(٤) اقرأ دائرة معارف الأديان و الأخلاق ٦/ ٣٤٦

و قد أنكر كثير من « المتجددين » و « المتنورين » الذين يقلدون المادية الأوربية والعقلانية الغربية ، هذه القصة عن آخرها ، إلا أن الشك والانكار أصبحا يتضاءلان أخيراً بقدر ما تتقدم خطوات المؤرخين الغرب فى البحث والتحقيق ، فقد اعترفت دائرة المعارف البريطانية فى طبعتها الأخيرة ، أن البحث الجديد والتحقيق المزيد قد كشفا اللثام عما كان يعتقده الناس قبل نصف قرن من الزمان ، من أن هذه القصص - بما فيها قصة المناظرة الابراهيمية النمرودية - لاتستند إلى دليل (١) .

معبودية نمرود :

[أن آتاه الله الملك] .

(يعنى أن الملك و السلطان هما اللذان بلغا به هذا المبلغ من التجرأ ، و الطغيان و البغى . و الاعجاب بالنفس) و الروايات اليهودية تصرح بأنه كان يطالب الناس بعبادته و تقديسه ، كعبادة الله و تقديسه (٢) .

و لا يغيبن عن البال أن ديانة البابليين « الرسمية » فى عصر سيدنا إبراهيم هى عبادة الشمس ، و كانت الشمس هى رئيسة جميع الأصنام والآلهة ، فكان نمرود البابلى يعتبر نفسه مظهر هذا الاله الأكبر - كفرعون مصر - وكان يعتبر أهل التوحيد من البغاة و المعاندين للديانة الرسمية و حرباً عليها ، حتى أصبح يحسد - مرحلياً - إله أهل التوحيد ، يقول : « جوزيفس » المؤرخ اليهودى القديم ، فى كتابه « آثار اليهود » .

« وصار يمنع عن نسبة رخاء و رفاهية الانسان إلى الله ، كأنه هو القادر على

(١) دائرة المعارف البريطانية ١٣/ ١٦٥

(٢) اقرأ حكايات اليهود (Legends of the Jews) لكنز برك (Ginz Berg) .

الإطلاق ، و كان يقول : لو ذهب الله يأتى بطوفان كطوفان نوح و يغرق به العالم لأنتقم أنا منه » (١) .

سيدنا عزير عليه السلام و الحياة بعد المماة .

[أو كالذى مر على قرية و هى خاوية على عروشها] .

ذهب معظم المفسرين إلى أن المار هو سيدنا عزير الذى كان نبياً من أنبياء بنى إسرائيل ، أو كاتباً للتوراة ، و كان فى ٤٥٠ قبل المسيح عليه السلام ، استرد ألفاً و خمس مائة يهودى من منفاهم و محبسهم إلى فلسطين . ويتكرر اسمه فى العهد القديم باسم عذرا الكاتب (كاتب التوراة) و هناك فى العهد القديم سفر منسوب إليه ، و إليه ذهب قتادة و السدى و أمثالهما من التابعين ، و روى ذلك أيضاً عن على و ابن عباس رضى الله عنهم من أصحاب النبى ﷺ

« ذكر أنه عزير (٢) » « المار هو عزير كما أخرجه الحاكم عن على و إسحاق بن بشر عن ابن عباس و عبد الله بن سلام . و إليه ذهب قتادة و عكرمة والربيع و الضحاك و السدى و خلق كثير (٣) » .

و هناك رأى آخر يقول : إنه هو إرمياء الذى كان أيضاً نبياً من أنبياء بنى إسرائيل فى القرن السابع قبل المسيح . و التاريخ اليهودى يشير إلى أنه سعد بالنبوة فى ٦٤٦ ق م، ولا يستبعد من الناحية التاريخية أن يكون هو المراد فى الآية الكريمة ، لكن هذا الاحتمال ضعيف . و روى ذلك عن باقر و وهب :

« قيل هو إرمياء بن فاقيا ، و هو المروى عن ابن جعفر و إليه ذهب وهب (٤) » .

(١) آثار اليهود. الباب الأول ، ٤/ ٢ (٢) ابن جرير الطبرى عن قتادة والسدى
(٣) روح المعانى (٤) روح المعانى

و هناك فى العهد القديم قصة جاءت مشابهة لهذه القصة فى القرآن ، غير أنها تدور حول حزقيال النبى الذى كان فى عصر إرمياء فى القرن السادس قبل المسيح عليه السلام ، لكن العهد العتيق لم يرو القصة كواقعة بل كرؤياء أو إلهام (١) [قرية] .

ما هذه القرية التى مر عليها ؟ حدودها بأسماء مختلفة . إلا أن أكثر المفسرين مالوا إلى أنها « بيت المقدس » ، و كانت هذه المدينة قد تخربت و تدمرت فى ٥٨٦ ق م ، إذ فعل بها عامل « بابل » بخت نصر الأفاعيل ، والقرينة تدل على أن القصة تتصل بهذه المدينة ، و ربما يمكن أن تكون قد وقعت بها هذه الواقعة ، و هى قريبة العهد بالخراب والدمار ، « القرية » بيت المقدس ، قال وهب و قتادة و الضحاك و عكرمة و الربيع (٢) » .

الحياة بعد المماة مأة عام !

[فأماته الله مأة عام ثم بعثه]

و يرى طائفة من العلماء أنه ليس المراد بالموت ، الموت المتعارف الذى فيه الصلة بين الروح و الجسد ، بل هو الغشية الشديدة لهذه المدة الطويلة وفقد الوعى و الشعور .

« إن من الموت ما يمتد زمناً طويلا ، وهو ما يكون من فقدان الحس والحركة والادراك من غير أن تفارق الروح البدن بالمرة ، وهو ما كان لأهل الكهف (٣)

و تؤيد هذا الرأى دواوين اللغة أيضاً ، فقد كتب الراغب الأصفهانى فى « المفردات فى غريب القرآن » من معانى الموت زوال القوة النامية ، و زوال

(١) راجع حزقيال ٣٦ و ٣٧
(٢) البحر المحيط للغرناطى (٣) المنار للعلامة رشيد رضا المصرى

القوة الحاسة ، و زوال القوة الشاعرة ، و الحزن المفرط والنوم المفرط المستغرق ، و ما إلى ذلك .

و إذا كان معنى « الموت » أصلا هو « ضد الحياة » - كما جاء فى الصحاح للجوهرى - « أو زوال الحياة » - كما جاء فى « أقرب الموارد » لسعيد الخورى - فلا بد أن يصدق « الموت » على جميع الصور التى على ضدها تصدق « الحياة » و قد صرح العلامة المرتضى الزبيدى بعد ما ساق جميع معانى « الموت » التى جاءت فى « المفردات » إن الكلمة تطلق - مجازاً - على الفقر و الذلة و المعصية . و ما إليها ، و فعلا قد استخدم الحديث النبوى « الموت » فى معنى المعصية فى معرض الحديث عن إبليس الأول الذى كان أول عاص .

« و قد يستعار الموت للاحوال الشاقة ، كالفقر ، والذل . والسؤال والهرم و المعصية ، و غير ذلك ، و منه الحـديث « أول من مات إبليس » لأنه أول من عصى (١) .

وجوب الايمان بجميع الرسل :

[لا نفرق بين أحد من رسله]

« كاليهود التى لاتؤمن إلا بأنبياء جيلهم الاسرائيلى ، ثم تكفر بمن شاءت من أنبيائها أيضاً ، فتعادى المسيح عليه السلام ، وهو خاتم سلسلة الأنبياء فى بنى إسرائيل وتبلغ بها العداوة إلى أن تقتله - فيما تظن - ولا كالنصارى التى تفرط فى الايمان ببنى إسرائيل . فترفع به من البشرية إلى الألوهية . ثم تشمر عن ساق الجد فى نصب العداء للنبى الذى يبعث من الجيل الاسماعيلى .

(١) تاج العروس (شرح القاموس) للعلامة السيد مرتضى الزبيدى للبلكرامى المتوفى ١٢٠٥ .

و قد دهش المؤرخ الانجليزى « جيبون » من سعة هذه الآية و شمولها على الرغم من أن القرآن الكريم ليس عنده الكلام الالهى ، إنما هو الكتاب المحمدى ، يقول فى كتابه « تاريخ سقوط الامبراطورية الرومانية » .

« و كان من سماحة صدر محمد ﷺ أنه رضى لمن سبقه نفس المكانة التى رضيها لنفسه ، وحافظ على سلسلة نزول الوحى من لدن هبوط آدم (عليه السلام) إلى نزول القرآن » (١) .

و الآية لا تتعرض لتفاوت ما بين الأنبياء عليهم السلام فى الفضل ، والمكانة وإنما تذكر أن الايمان بجميع الأنبياء دون تفريق بينهم واجب ، و لا يجوز الكفر بنبوة أى واحد من الأنبياء .

(١) تاريخ سقوط الامبراطورية الرومانية ٥/ ٣٤٠

مراحل العمل من أجل نهضة إسلامية معاصرة

(الحلقة الأولى)

فضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقره

المقدمـــة :

الحمد لله الذى لا رب سواه ، و الصلاة والسلام على النبى الذى اصطفاه ، و بعد فان نجاح أى أمر يتوقف على حسن تصوره ، و تقدير كل شئ قد يؤثر على نجاحه أو فشله قبل البدء بالعمل من أجله .

و مما لا ريب فيه أن تخلى المسلمين عن دينهم ردحاً طويلا من الزمن ، و استبدالهم به سواه من النظم و المبادىء ، و شعورهم بالرضا النفسى بذلك ، كل أولئك أقام حاجزاً ضخماً بين المسلمين و بين دينهم ، حتى إذا ألفوا هذا الحاجز نسوا دينهم و نسوا أنه كان لهذا الدين فى تاريخ البشرية - يوماً - تأثير عظيم إذ ساوى بين الناس جميعاً ، و حطم الفوارق الطبقية ، و أشاع الرخاء و الأمن ، فخفيت عليهم معالم الطريق إن هم أرادوا العودة إليه ، وأخذوا يتلمسون السلامة فى طريق أخرى لم يستبينوا منها إلا آثاراً باهتة ضعيفـــة لا تكفى حتى لاستلام أولها ، « توقفوا حائرين ينظرون نظر المغشى عليه من الموت .

فكان لا بد من وضع خطة واضحة ذات مراحل ، كل مرحلة منها تفضى إلى التى تليها . و تكون كأنما هى جزء منها ، و تكون نهايتها جزءاً من بداية المرحلة الأخرى ، فتكون المراحل كلها سلسلة واحدة ، ثم يرسم لكل مرحلة من هذه المراحل

الخطوات التى يجب أن تخطى بهـا ، حتى إذا وضحت كل مرحلة بخطواتها الكاملة ، أمكن أن تقطع و لو كان قطعها يكبد كثيراً من المشقة و الجهد ، غير أن الوصول إلى نهايتها يكون أمراً محققاً مضموناً ، فاذا لم يتحقق كان الأجر و المثوبة و راحة النفس و الضمير .

هذه المراحل هى :

١- مرحلة التصور و التفكير .

٢- مرحلة الاعداد و التنسيق .

٣- مرحلة العمل و التنفيذ .

و سوف نبين خطوات كل مرحلة من هذه المراحل فيما سيأتى إن شاء الله ، ومن خلال ذلك نستطيع أن نقول - إن تحقيق النهضة الاسلامية أو إعادة بنائها ، أو استئناف السير إليها أمر ليس مستحيلا ، بل هو مقدور عليـــه ، و ما على المسلمين إلا أن يضعوا أقدامهم على بداية أول مرحلة من هذه المراحل ، فيسهل عليهم قطع المراحل جميعاً و هم يستعـــذبون كل ما ينالهم فى أنفسهم و فى أموالهم لعلمهم أن تحقيق أمر الله عز وجل فى الأرض ، و إعلاء كلمته لا يتم إلا بذلك .

« و الله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل » .

المرحلة الأولى

مرحلة التصور و التفكير :

و هى أولى المراحل الكلية الثلاث للنهضة الاسلامية ، و هى مرحلة التصور العقلى لما يمكن أن تكون عليه النهضة بكل مقوماتها و أسبابها و بقائها ، لأن رسم خط هـذه النهضة و وضع مراحلها الكلية على هذا الخط إنما يراد به تحقيق السعادة للمسلمين فى كل أرض يعيشون فوقها . بل إسعـاد العالم بأسره . فاذا اقتصر التصور

العقلى على مرحلة واحدة فقط ، كان ذلك دليلا على أحد شيئين ، إما العجز العقلى الذى لا يقوى على استيعاب الحقائق و الأشياء التى تكون النهضة فى حاجة إليها ، و إما على ضعف اهتمام المسلمين بما يحقق لهم السعادة و العزة فى الحياة ، و كلاهما خطر كبير يقف فى طريق النهضـــة ، يجب على المسلمين فى كل أرض من أرضهم أن يتنادوا بحرارة و صدق لازالته .

ألف - ممن يطلب التصور :

والتصور العقلى للنهضة يشترك فيه المسلمون جميعاً ، كل بالقدر الذى يستطيعه ، و لا يعفى من مسئولية هـــذا التصور إلا من كان بلا عقل ، فيتشكل من مجموع هذا التصور خط واحد ، كل جزء فيه كان ثمرة جهد مشترك فى التفكير ، فيكون الحرص على بقائه متصلا من الجميع ، بما بذلوا فيه من جهد ، فيتحقق بذلك مبدأ المسئولية الجماعية ، وتنتفى الأنانية التى لايحمل وزرها إلا من كان مقطوع الصلة بالجماعة و غير مهتم بمصيرهـــا ، فهو إذاً ليس منهم ، و فى الأثر - (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) و هذا التفكير الجمعى هو بداية الاصلاح الذى يدعو إليـــه الاسلام لاقامة نهضة إسلامية رأسية القواعد ، عالية البناء ، دائمة العطاء .

ب - أصول الاصلاح :

و طريقة الاسلام فى الاصلاح هى أفضل طريقة عرفتها البشرية فى حياتها ، ذلكم أنها طريقة ربانية ، أنزلها الله على نبيه عليـه الصلاة و السلام ، كما أنزل عليـه آيات محكمات فى العقائد و العبادات و الأخلاق .

بل يجب أن نعلم أن طريقة الاسلام الاصلاحية هى العقائد الأصيلة التى يعتمد عليهـــا جهود المصلحين فى إصلاح الخلل و الفساد الذى يطرأ على أصول و فروع الشريعة ، نتيجة الجهل الذى تردى فيه المسلمون ، والتضليل الذى يقصد به فصل المسلم

نفسياً و عقلياً من الاسلام ، أو نشوء المسلم فى بيئة يعادى فيها الاسلام ، فيتأثر بتلك البيئة تأثراً كبيراً ، ويصير سلبياً فى تعامله مع الاسلام ، و ربما أصبح عدواً لدوداً للاسلام وهو لا يشعر أنه يعاديه ، وهذا أسوأ ما يمكن تصوره عن الانسان الذى يعيش فى بيئة غير بيئة المسلمين .

وهناك أصول ثلاثة يعتمدها الاسلام فى طريقته الاصلاحية التى يمهد بها لاقامة نهضة إسلامية و هى :

١- التوحيد الصحيح .

و التوحيد هو إفراد الله عز وجل بالعبادة ، و الافراد اليقينى بأنه له الخلق و الأمر . و الله لا يشبه شيئاً من خلقه فى ذاته و صفاته و أفعاله ، و جماع ذلك فى سورة من أصغر سور القرآن ، وهى (قل هو الله أحد ، الله الصمد لم يلد ، و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد) . و هذا الأصل يحمل المصلح على التوجه بكلية إلى الله و الاخلاص فى كل ما يفعل ، و ما يدع .

٢- وحدة أصل الشعوب .

و الشعوب جميعاً أصلها واحد ، لا فرق بين شعب و شعب و لا بين قوم و بين قوم آخرين ، فكلها لآدم وآدم من تراب ، و لا تفاضل بينها إلا بالولاء لله سبحانه ، و على هذا فان السعى لبناء نهضة إسلامية لا يقصد بها تحقيق مصلحة شعب من الشعوب ، وأنها يقصد بها تحقيق مصالح الشعوب قاطبة ، من غير تفريق بين شعب و شعب ، ذلكم أن دين الله الذى أرسل به نبيه ﷺ هو دين النـاس كافـــة . و ما أرسل نبيه إلا كافاً للناس عن الشر و الفساد (و ما أرسلناك إلا كافة للناس) و رحمة مهداة للبشرية « و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

٣- تلبية حاجات الانسان .

و الانسان مخلوق يجمع بين النقائض معاً فى آن واحد ، ففيه تجتمع الرغائب الحسية و الأشواق القلبية و فيه تقوم ميول الشر و ميول الخير ، و لكل من هذه و تلك حاجات لا تستقر بخبثها و استعلائها إلا بتحقيق هذه الحاجات ، و لو ترك الانسان و شأنه لكان حقق هذه الحاجات عن أى طريق ، و لكنه باعتباره مخلوقاً لله - والله له الخالق و الأمر - فلا يتركه يتلمس حاجاته فى ظلام الليل أو فى متاهات الطريق . بل أقامه على نهج مستقيم واضح و أملكه قدرة التفكير ، و أقره أن يأخذ لنفسه ما طاب من الأشياء التى يحتاجها فى اعتدال ، و أن يدع ما خبث منها ، و إن كانت نفسه راغبة إليها ، لأن فيها الاثم و الأذى

و هكذا يضع الاسلام هذا المبدأ ، ليسعى الانسان إلى تحقيق حاجاته من غير تأثم و لا حرج ، فيكسب رضوان الله و هو يسعى لتحقيقها ، و هذا العمر الحق هو أعظم ما يرجو الانسان فى حياته لسعادته الأخروية من خير . وإذا نال كل إنسان فى هذه الحياة حاجاته . تهيأ له الاستقرار النفسى و الجسدى ، فلا يكون بين الناس تحاسد و لا تباغض . بل تنافس فى كل ما يبنى المجتمع الأمثل . و هذا ما يحرص الاسلام على تحقيقه بين الناس لايجاد مجتمع تظله الرحمة ، و تنتفى منه الآفات الاجتماعية التى إن أصابت مجتمعاً من المجتمعات أفسدته و أضلته. ويسارع الناس جميعاً إلى العطاء و الخير فى رغبة .

ج - نظرة شاملة موجزة فى تاريخ الشعوب .

كان العالم قبل الاسلام فى حال من الفساد الدينى و الاجتماعى و الأخلاقى يصعب على الكاتب أن يستقصيها استقصاءاً تاماً بحيث يكشف عن جوانبها ، و يظهر خفاياها فلا يخفى عليه شئ منها ، ولكن لا يصعب عليه أن يصفها وصفاً إجمالياً

فيسهل على القارىء أن يحكم بنظرة خاطفة سريعة - حكما صحيحاً ، إن العالم كان مهيأ لاستقبال حدث جديد يؤثر تأثيراً قوياً فى طرائق تفكيره و أنماط سلوكه ، و إن الاسلام كان هذا الحدث الجديد الذى دهش العالم له و هو يزيح الأكوام الضخمة التى تراكمت على مر السنين على فترة من الوحى السماوى .

و لا يصعب على الفرد العادى أن يدرك فى سرعة خاطفة أيضاً أن عالم اليوم يكاد يكون صورة مماثلة عن العالم قبل الاسلام ، مع فرق واحد هو : أن عالم ما قبل الاسلام لم يكن يملك ما يملكه عالم اليوم من قدرات وطاقات كبيرة فى سرعة التغيير و التحويل فى شتى مجالات الحياة الانسانية .

كما لا يصعب على هذا الفرد أن يدرك فى سرعة خاطفة أيضاً أن هذا العالم المعاصر لا يتغير أو يتحول إلا بما تغير و تحول به عالم ما قبل الاسلام ، وبخاصة أن المسلمين جربوا كل النظم و الأفكار ، و جعلوا من بلادهم حقول تجارب لتلك النظم و الأفكار ، فلم يحصلوا من وراء ذلك على طائل البتة ، بل إنهم أذلوا أنفسهم و أوضعوا فيها بالفتنة الضروس التى انطلقت بهم إلى سوء العذاب فى الآخرة ، و شر الهوان فى الدنيا .

إذاً فالضرورة الملحة تفرض على المسلمين أن ينشأوا نهضة إسلامية ، أو قل أن يسعوا إلى إعادة النهضة الأولى التى جعلت منهم سادة أعزة ، وأخرجوا الناس بها من ظلام الجهل إلى نور العلم ، ومن عبادة السادة إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا و الآخرة ، و ليس من سبيل إلى ذلك ، إلا إذا رأوا أن لا سبيل إليها إلا سبيل رسول الله ﷺ ، وأن لا يكون لهم الخيرة من أمرهم ، و إنما الرضا بما رضى به رسول الله ﷺ ، و اتباع الرسول ﷺ فى كل ما شرع هو كل الخير .

د - طريقة الرسول ﷺ .

لا بد لمن يفكر فى بناء نهضة إسلامية أن يقرأ سيرة الرسول ﷺ قراءة شاملة ليحيط إحاطة تامة ، فلا يغفل عن جزء منها ، لأن كل جزء فى سيرته الشريفة يمثل جانباً عملياً من جوانب الاسلام ، و تتبع السيرة النبوية فريضة إسلامية على كل من يشارك فى بناء النهضة الاسلامية ، لأنها تكشف عن الطريقة العملية الصحيحة التى شاد بها النبي العظيم بناء الاسلام الشامخ ، و معرفة هذه الطريقة جزء هام من المرحلة الأولى من مراحل النهضة الاسلامية و هى : مرحلة التفكير ، و قد اعتمد الرسول ﷺ فى طريقته هذه ثلاثة مبادىء :

المبدأ الأول - الدعوة :

لم يكن الاسلام ليبلغ مسامع الناس لو لا قيام الرسول ﷺ بأمر الدعوة إلى الله ، و ثباته على كل صنوف الأذى التى لاقاه بها قومه ، و قد سلك الرسول عليه الصلاة و السلام فى الدعوة سبيل المشفق الخائف ، الحريص على إنجاء قومه من ذل الدنيا ، و هوان الآخرة (فلعلك باخع نفسك على آثارهم أن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) و أمر أن يعلن على الملأ أمر الله من غير إبطاء و لا انتظار « فاصدع بما تؤمر و أعرض عن الجاهلين » و كانت دعوته للناس عامة ، القريب منهم و البعيد « و انذر عشيرتك الأقربين » « يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض. فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » و بالدعوة استبانت العقيدة ، و وضحت الأحكام و سارت الكلمة تحمل الايمان إلى ربوع الجزيرة و خارجها فى أقل من ربع قرن من بزوغ شمس الاسلام ، تؤكد أنه لاخلاص للناس من ثقلة الشر التى أرهقتهم إلا بهذا الدين الجديد .

المبدأ الثانى - السلوك العقيدى :

بدأ الرسول الكريم صلوات الله و سلامه عليه دعوته فى مكة سراً يواجه عقول الصحابة رضوان الله عليهم إلى العقيدة و يرسخ فى قلوبهم أصولها ، حتى إذا علم الله فيهم القدرة على تلقى الأحكام وقبولها ، أخذ يكلفهم بها ، الأولى فالأولى ، فعلت فى صدورهم شجرة التوحيد ، وامتدت أغصانها يانعة ، سلوكا إيمانياً فى العبادات و الأخلاق ، تحمل شذاها العطر سراً و علانيـــة قوافل التجار إلى خارج مكة ، و تفجرت قلوب أصحاب الرسول ﷺ قوة و صبراً وتحدياً ، فدهش لذلك صناديد مكة و عظماء قريش . و صاروا يصبون جام غضبهم عليهم ، فى غير شفقة و بلا رحمة ، فكانت الهجرة إلى طيبة ، حيث وجدوا المنعة والاستقرار .

المبدأ الثالث - المقاومة و المدافعة :

لم تمض بضع سنوات على ظهور الاسلام ، حتى استيقظت حوافز الشر فى صدور أهل مكة ، وأخذت تبرز فى أشكال عديدة ، فتارة فى الضرب و الاهانة ، و تارة فى المقاطعة و الكيد ، و تارة فى التأليب و الاستعداء ، و لم يكن أصحاب الرسول ﷺ فى أول الأمر يملكون منعـــة إلا بالجوار ، و يلوذون بالاجتماع الصابر ، غير ناظرين إلا إلى رجاء فى رضوان ربهم و نصرة دين رأوا من أول يوم أنه لابد ظاهر على الدين كله .

و صارت عيون المشركين ترصد الدين الجديد فى يقظة و حذر ، بعد أن كانت ترى فيه سورة نفس أو تهويمـــة شاعر ، أو انتكاسة مجنون ، فلم يعد خافياً عليها أن الخطر يهدد مكة والجزيرة العربية كلها ، لذا فقد أخذت تضع كل إمكاناتها فى محاولة للقضاء على الدعوة قبل أن يشتد ساعدها ، فضرب الشرك ضربة تجهز عليه.

إزاء ذلك كان لابد أن يكون للرسول عليه الصلاة والسلام و أصحابه رضوان الله عليهم موقف يقضون به أمراً لابد مقضياً، فانشأوا يدافعون عن أنفسهم ضروب الأذى التى يدبرها المشركون، باذن ربهم، بعد أن أمضوا سنين عدداً يقاومون المشركين بالصبر و اللواذ بالسر و الصمت (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير). فكان ذلك إيذاناً من الله لهم ببدء مرحلة جديدة أشعرتهم أنهم صاروا أقوياء يرهب جانبهم، و يخشى بأسهم، ثم كانت الهجرة حداً فاصلا بين عهد استعلن فيه الشرك، و بين عهد آذن الناس بنصر مبين.

٥ - المعوقات :

لا يمكن لنهضة إصلاحية سليمة جادة أن تقوم، إلا إذا زالت من طريقها المعوقات الظاهرة و الخافية، التى يمكن أن تعوق تقدمها، و لا بد أن يكون صدام بين تلك النهضة، وبين هذه المعوقات، و لكن يحسن بادىء ذى بدء، أن تمسك النهضة عليها نفسها، و أن تبدأ سراً و بحذر شديد، لئلا يكون الصدام المتوقع قبل أن تتمكن من استلام أول الطريق.

وقد عانت الدعوة الاسلامية فى كل عصر من المعوقات التى تقام أمامها. وتتفق مع طبيعة ذلك العصر الذى تتحرك فيه الدعوة.

و المعوقات فى عصرنا الحاضر هى المعوقات فى كل عصر، و لا تختلف معها إلا فى ظاهرها، و كلها تنبع من أصل واحد و هو (كراهية أن يظهر أمر الله فى الأرض)

و زوال هذه المعوقات من طريق النهضة لا يكون إلا باستكشافها تاماً، ثم توضع خطة محكمة لذلك، حتى إذا زالت سهل قيام النهضة المرجوة، والمعوقات التى تقف فى طريق النهضة اليوم كثيرة. و أهمها :

أولا - الاعلام :

كان الاعلام من الوسائل الهامة التى سخرها النبى ﷺ لنشر الدعوة، والتمهيد لاستقرارها، و معلوم أن الاعلام فى صدر الاسلام و ما تلاه من عصور كان يعتمد على الكلمة المقولة المنقولة، و يظل تأثير الكلمة مادام لسان ينقلها، و عقل يحفظها، حتى إذا كانت وسائل جديدة للاعلام، انتقلت الكلمة إليها، وأخذت منها مساراً إلى عيون الناس و آذانهم، و افتن العقل البشرى الحضارى فى إبرازها، فتارة تبرز فى أغنية خليعة، و تارة فى صورة مثيرة، و تارة فى إيحاءات منكرة، و تارة فى إعلانات خبيثة، إلى غير ذلك مما لا يمكن أن يقع فى حسبان الناس أن يكون فكان.

و وسائل الاعلام - (الصحافة، و الاذاعة المسموعة، و الاذاعة المرئية) منذ أن كانت و هى تعمل على التمكين للفساد فى أخلاق الأمة و تقاليدها و دينها غير عابئة بما ستئول إليه، بما تعرضه على أسماع الناس و أبصارهم من فنون شتى إلا ما كان من بعض الصحف والمجلات التى حملت فكرة الاصلاح، وتحملت الخسارة و الهزء فى صبر كبير.

وأية حركة إصلاحية لا يمكن أن تحقق أهدافها، أو تصل إلى غاية محدودة لها، ما لم تتعاضد جميع المؤسسات على التمهيد لها فى المجتمع الذى تكون فيه، ومن أهمها المؤسسة الاعلامية بكل فروعها و أجهزتها.

و رسالة المؤسسة الاعلامية يجب أن تنبثق من عقيدة الأمة، وبقدر ما تكون هذه العقيدة قوية موجهة، تكون المؤسسة قادرة على الاعطاء و التوجيه.

وقد رأينا فى ربع القرن الأخير كيف استطاعت المؤسسات الاعلامية فى العالم الاسلامى فى غفلة من عقيدة الأمة، أن تقتل الروح الايجابية للأمة، و تخلق

القدرات الفاعلة الموروثة لديها ، و تعمق للانهزامية فى عقلها ، حتى صار كل ماكان مرفوضاً عندها مقبولا جـداً ، و كاد أن يقترن كل شئ يعرض بوسائل المؤسسة الاعلامية بالمرأة ، و ذلك بتخطيط خبيث ماكر ، قصد به تقليص البعد بين الشئ المعروض و بين الانسان المسلم ، فكأس الخمرة تبدو رائعة جميلة فى يد امرأة رائعة جميلة و الدخنية تبـدو لذيذة ممتعة بين أصابع امراة فاتنة . و هكـذا .

و من المحزن المضحك جداً أن القصة المقروءة أو المسموعة أو المرئية حين تعرض مكتوبة أو ملفوظة ، مصورة أو غير مصورة ، و يقصد بها - زعموا - معالجة مشكلة بتجسيم مضارها ، لا تعرض فى معزل عن المرأة أو الجنس فى أى شكل من أشكاله ، حتى صارت المرأة هى العنصر الهام فى أى شئ يعرض ، وغالباً ما تكون المرأة فى هـذه القصة مستهترة ، و أعظم فيها أن تذل الرجل ، و تمرغ وجهه بالتراب ، و تسلبه ماله و عقله و دينه .

و لا بد أن يكون عنصر الخمرة أو الحشيش أو الأفيون ، هو العنصر المؤيد المعاضد لعنصر المرأة ، فيشكل العنصران معاً جواً يعبق بالشهوة المدمرة . و الفساد المقيم الذى يضل فيه العقل . و تتحطم على نتوءاته الفطرة ، و تغيب فى تضاعيفه كل القيم ، و لا يبقى فى نفس من يعيش فى هذا الجو إلا ذبالة ضعيفة من الماضى تتذبذب فى ايلولتها نحو الفناء ، غير أن هذه الذبالة يمكن أن تقوى ، و تتسع رقعة ضوئها إذا تضافرت الجهود على إذكائها ، و إقصـاء كل الأسباب التى أضعفتها ، و عملت على إفنائها .

إن المؤسسات الاعلامية هذه الأيام ، هى التى تقود الناس ، وتوجه سلوكهم و تبنى حياتهم العقلية و النفسية ، لذا فقد نشأت فى بيئـة المجتمع نتوءات خبيثة ، ليس سهلا نزعها أو إذابتها ، و رأينا الجريمة بكل صنوفها تدخل البيوت فى غفـلة

من أهلها ، من غير استئـذان ، تفتك بالدين و الأخلاق فتكا ذريعاً ، و سمعنا صرخات المصلحين تذهب مع الرياح ، و لا يستجاب إلا لمـا صار يهواه المجتمع المصنوع على عين تلك المؤسسات ، حتى أصبح المجتمع يستنكر كل شئ يخالف ما صار يهواه ، و لو كان هذا الشئ صريح العقيدة ، و الأحكام الشرعية .

و أفظع وسائل الاعلام اليوم تأثيراً على الأفراد و الجماعات هى الاذاعة المرئية (التلفزيون) و لم يعد مقبولا عند الناس أن يخلو بيت من جهاز التفزيون حتى ليكاد أن يكون وجوده فى البيوت ضرورة ملحة من ضرورات الحياة ، لايقل أهمية عن الطعام و الكساء ، وليس جريمة أن يدخل هذا الجهاز كل بيت ، ولكن الجريمة أن يكون هو فى ذاته جريمة ، بما يعرض فيه . فيلهى الكبار ويفسد الصغار و ليس من يد أقوى من يد الدولة تقدر على أن تجعل من هذا الجهاز موجهاً يبنى و لا يهدم ، و يصلح و لا يفسد ، و يحيي و لا يميت ، و يعمل جنباً إلى جنب مع البيت و المناهج التعليميـة فى توفير المناخ الصالح للفرد المسلم ، أن يحيا بقيم الاسلام و فضائله ، و شرائعه و عقيـدته . حياة آمنة وادعة حتى إذا لقى ربه . وجد ما عمل من صالح عنده يهديه إلى أبواب الجنة .

ثانياً - المناهج التعليمة :

مما ريب فيه أن المناهج التعليمية هى التى تصوغ العقل ، أوتساعد على صياغته بقطع النظر عن نوع هذه الصياغة ، فان كانت المناهج قائمة على أسس سليمة صاغت العقل المستنير ، و إن كانت غير ذلك صاغت العقل المظلم ، و قد وضع أسلافنا رضوان الله عليهم المناهج التعليمية ، بحيث تناسب القدرات العقلية و النفسية لكل الأجيال التى تعيش فوق الأرض ، وظلت هذه المناهج التعليمية تقدم عطاءها السخى للمسلمين حتى مطلع القرن التاسع عشر ، حيث تسرب إليـه مكر علوج الغرب ،

فأزالت الأسس التى قامت عليها هـــذه المناهج و وضعت أسسا لها جديدة تتفق و روح الشر الحاقد التى تغلى فى صدورهم ، و حملتهم على قطع المسافات الشاسعة لتحقيق غايات لعينة .

و إن التراث العلمى الاسلامى الذى تزخر به المكتبات الكبيرة اليوم فى شتى أنحاء العالم لشاهد كبير على سلامة تلك الأسس ، و قدرتها الفاعلة الرفيعة ، فقـد احتفظت كتب هذا التراث بقيمتها رغم تكاثر الكتب ، و سهولة نشر المعرفة فى العالم اليوم ، و ظلت معيناً لا ينضب على الأيام لطلاب العلم والمعرفة . كلما صدروا عنها عادوا إليها فوجدوها أشد نقاء ، وأجزل عطاء ، وأروى لصاد . وأملأ لجائع .

و عند ما ابتلى المسلمون فى مطلع القرن التاسع عشر بزواحف الشر الآتية من أوربا ، و أخذت تريق لعابها السام الأسود فى أروقة المعاهد العلمية ، وتكون به مناهج التعليم فى شتى فروع العلم ، بدعوى التسهيل و التطوير ، بدأ الشر يسرى فى عقول الأمة و قلوبها و كانت هذه الزواحف تستمتع بذكاء خارق ، فلم تعمد إلى التغيير دفعة واحدة ، و إنما بدأت عملية استطلاع كاشفة . بقصد التعرف على الاستعدادات النفسية عند بعض الأفراد الذين لا يرفضون ما يلقى إليهم ، ثم دفعت بهؤلاء الأفراد إلى أوربا ، و أغدقت عليهم الكثير ، و وضعتهم فى محاضن فكرية علمية خاصـــة ، حتى إذا رضيت بما نالوا أعادتهم إلى بلادهم ليكونوا رسلا من أهلها إليهم .

و كان هؤلاء الأفراد هم الطليعة الممتازة التى مهدت للمناهج التعليمية التى حملتها معها تلك الزواحف عند ما وفدت إلينا ، و ظلت تترصـــد فى ذكاء حتى وجدت الفرصة المواتية . فقـــدمت فى مسوحها السوداء الداكنة تنشر إفكها ، و كان ذلك على يد أولئك الرسل الذين أعدوا لهذه الفرصة .

و أهم ما حققته هذه المناهج أنها شطرت التعليم شطرين ، فجعلت منه تعليماً دينياً تقليدياً ، و تعليماً عصرياً تقدمياً ، و وضعت للتعليم العصرى مزايا و حوافز مكنت لها فى المدارس التى أنشأتها ثم حصلت مزايا للقبلين عليها و المتخرجين فى مدارسه و معاهده ، مادية ومعنوية . حتى صار الذى يتخرج فى المدارس والمعاهد الدينية يتوارى خجلا من سوء فعله ، و صار يحس أنه مضطهد مزدرى ، و لكن رغم ذلك كله فقد ظل التعليم الدينى يستقطب أبناء الأمـــة حوله ، و يدفع بأعداد منهم إلى المساجد و المحاكم و المعاهد ، مثبتاً بذلك قدرته على الصمود و التحدى ، حتى سقط الحاجز اللعين الذى أقامته تلكم المناهج اللعينـــة ، وصار المرء يرى تدانيا بين الطالب فى كلية الطب أو الهندسة ، و بين الطالب فى كلية الشريعة أو الآداب ، قائماً على الحب والمودة . فرضت ذلك كله الموجـــة الاسلامية التى انداحت دائرتها حتى شملت بلاد المسلمين جميعاً ، و ظلت تنتقل من بحر إلى بحر ، و من محيط إلى محيط . حتى دخلت البلاد التى صدرت لنا تلك المناهج اللعينة و صارت تؤثر تأثيراً ظاهراً فى مجالات الحياة الاجتماعيـــة فى كثير من الأفراد . حتى أصبح المرء المسلم الداخل تلك البلاد يرى تقبلا لما يقول أو يفعل على حد سواء .

و عند ما أخذت تلك المناهج طابع الاستقرار و الثبات فى البلاد الاسلامية أحدثت فجوة بين الشباب وبين الدين . فاقبلوا على الحضارة إقبالا شديداً ونهلوا من كل مواردها الآسنة . و أخذو على عواتقهم الترويج لها بكل خطيئاتها . فصارت الخمور شيئاً غير مستهجن بل أصبح تناولها عادة اجتماعيـــة ، و فتحت لها الخانات و انشئت المـــلاهى - و عم بلاؤهـا ، و كثر شاربوهـا ، و أغرقت البيوت . والأسواق بأنواعها ، وصار الأطفال يفتحون عيونهم فيرون زجاجات الخمر مصفوفة بعناية فى زوايا البيوت ، و يرون آباءهم وأمهاتهم يعبون منها عباً ، فنشأ بينهم وبينها

ألف وثيق ، تمكن من نفوسهم مع الأيام ، و ساقهم إلى الفقر والضياع من حيث لا يشعرون .

و أضعفت المناهج الوازع الدينى فى نفوس الشباب ، فأغرقوا فى لجة الفساد و انحـــدرت بهم الشهوات على سفوح الشر ، و انقادوا انقياداً أعمى لكل المباذل و الأشياء التى عملت الزحوف الوافـــدة على نشرها ، من أجل أن تمكن لنفسها فى أرض هى غريبة عنها ، كالحشيش و الأفيون . فانحلت بها عرى الأخلاق . و تمزق شمل الأسرة . و خرج الأطفال إلى الطريق هائمين على وجوههم على غير هـدى . و ضرب الفقر بأطنابه فوق الملايين من المسلمين نتيجة انحلال الأسرة ، و انحلال عرى الأخلاق ، و انتشار العادات الفاسدة التى نشأت بتلك الأشياء الخبيثـــة ، و لم يعد فى مقدور الثلة الصغيرة الباقيـــة على ولائها للمناهج التعليمية الأصيلة أن تقاوم تلك الآفات الضخمة إلا بعد أن بدأ فرعا التعليم يتدانيان ويلتقيان ، وبدأت الثلة الصغيرة فى مواجهة تلك الآفات ، و وضع العقبات و السدود أمامها ، وصار الطالب فى مدرسته و العامل فى مصنعه ، و التاجر فى دكانه ، والموظف فى مكتبه يسمعون نظريات فى التربية تجمع بين القديم والجديد فى ألف وثيق . تتصدى لتلك المناهج التى صارت بالأمـــة إلى الانحلال و الفساد و صاروا يرون حشوداً من الشباب تلتف حول هذه النظريات الجديدة ، ينادون بهـا فى كل مكان و يدافعون عنها فى كل وقت .

و صارت هذه النظريات تسمع فى كل مكان ، فى المسجد ، فى المدرسة ، فى السوق ، فى الجامعة ، وفى الحقل ، و صار تلاميذ تلك المناهج الوافدة يحدون مقاومة وصدوداً فى جميع أوساط الأمة ، وصاروا يبحثون عن جميع إمكاناتهم وقدراتهم ليجعلوا منها سداً أمام هذه النظريات الجديدة ، و لكن عبثاً يحاولون ، فان جذور البلاء

التى ضربت فى أرض الأمة حيناً من الدهر ، لم تعد تجد الغذاء الذى يكفى لحياتها أكثر مما وجدت ، فأخذت تضعف يوماً بعد يوم ، حتى جفت وتبخر ماؤها .

إن مناهج التعليم قد عمقت البلاء والفساد فى نفوس أبناء الأمة ووجدت فيها مناخاً صالحاً للنمو و الاستطالة و مادة الفساد . إذا لم تجد مناخاً صالحاً فلن يكتب لها الحياة . لذا فيجب أن يصار إلى صياغة المناهج التعليمية صياغة إسلامية سليمة تساعد على الارتفاع بالأمة فى بناء نهضتها .

ثالثاً ـ الاقتصاد الأثيم :

منذ أن عزل الدين عن الحياة « و المسلمون يعيشون فى ظلال قاتمة موحشة ، تطيف عليهم من كل أقطارهم » فلا يكادون يرون منها شيئاً إلا ما يلامس أجسادهم فيأخذونه إليهم بقوة ، و يحرصون عليه أشد الحرص ، و يتعاملون معه بمعزل عن الحكم الشرعى . فلا يكون خاضعاً لمبـــدأ الحلال و الحرام ، فمطعمهم و مشربهم و ملبسهم و مسكنهم ، و كل ما يحتاجون إليه فى حياتهم ، كل أولئك يأخذون منه ما يشبع الغريزة ، من غير نظرفيه إلى كونه يجلب رضوان الله و سخطه ، و هـذه الأشياء كلها هى قوام حياة الانسان كما أنها مناط الحركة الاقتصادية .

و نحن نشاهد أن الاقتصاد العالمى الذى فرض وجوده على الحياة الانسانية فى كل أرض لم يستثن أرض المسلمين ، فدخلها كما دخل غيرها ، و أصبح مقبولا كله لدى المسلمين ، و صاروا ينشئون المؤسسات التجارية العامة والخاصة على أسس ذلك الاقتصاد ، من غير أن يضعوا حدوداً لجشعه و طغيـــانه ، حتى أصبح الفرد المسلم الذى يفكر أن ينأى بنفسه بعض الشى عن آثام هذا الاقتصاد غير قادر على ذلك ، لأن كل المؤسسات التى يتعامل معها فى المجتمع مؤسسات تقوم على أساس غير إسلامى .

و إذا فكرت طائفة من المسلمين ببناء مؤسسات اقتصادية تكون نظيفة من

الحرام فأول ما تفكر فيه كيف تستطيع هذه المؤسسات أن تقف على أقدامها وتثبت فى وجه التيار الاقتصادى الأثيم الذى طغى على مجتمع المسلمين ؟ .

و ليس سهلا إزالة هذا النظام الاقتصادى من مجتمع المسلمين . لأنه صار مع مرور الزمن جزءاً من حياتهم ، متغلغلا فى كل مرفق من مرافقها ، يسانده النظام السياسى . و قد استطاع النظام الاقتصادى أن يجعل الاتجار فى الخمور و الأفيون والحشيش والربا و إشاعة أفلام الجنس أمراً واقعاً مفروضاً على مجتمع المسلمين ، لأنها تدر أرباحاً كبيرة على أصحابها ، ثم هى تحقق الأهداف الخبيثة التى يخطط أعداء المسلمين لتحقيقها فى مجتمعاتهم ، و هى جميعاً تعمل مشتركة على إيجاد المناخ لالهاء المسلمين ، و إفساد عقولهم و أجسامهم ، و صرفهم عن التفكير فى إعادة بناء صرح الاسلام من جديد .

و بعد ، فان هذه المعوقات ما كان لها أن تقف فى طريق النهضة الاسلامية لو أن نظام الحكم فى بلاد المسلمين هو النظام الذى ارتضاه الله لخلقه ، و هو نظام الاسلام ، و عليه فيجب على حكام المسلمين أن يدركوا أن الخطر الذى يهدد وجود المسلمين إن هدد فأول ما يهدد وجودهم هم ، فعليهم أن يسارعوا إلى نصرة الاسلام و إعلاء كلمة الله فى الأرض . و تمكين شريعة الله التى حكم بها محمد ﷺ .

و إذا استطعنا أن ندرك الأصول التى تقوم عليها النهضة الاسلامية ، أو استكشفنا العوائق التى تقف فى طريقها ، و عرفنا الطريقة التى أسس بها رسول الله ﷺ و أصحابه أمكننا أن نقف على المرحلة الأولى من مراحل بناء النهضة . و هى مرحلة التفكير و التصور التى ستجعلنا ننتقل إلى المرحلة الثانية و هى مرحلة الاعداد و التنسيق .

« يتبع »

الامبرالية الغربية تهدد المسلمين

(الحلقة الثالثة)

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة
تعريب : محمد صدر الحسن الندوى

كان أكثر من ثلاث مأة من السكان الأصليين الذين يعيشون فى إستروليا ، و كان عددهم يزداد على مر العصور ، وكانوا يعيشون على الطبيعة فيما بينهم ، وكانت الطوطمية (Totemism) دينهم يقوم على النظرة البسيطة إلى الطبيعة للحياة و الكون و الانسان ، و أثرت على ثقافة السكان الأصليين كلها تقريباً كما كان لها تأثير على طقوسهم الدينية وكانت تربطهم بالماضى ، و كان المواطن الأصيل يعتمد على الطبيعة ليعيش كالصياد ، و كان حريصاً على الاحتفاظ بالجو الطبيعى و الأرض التى كانت حياتهم تتوقف عليها .

أما المستعمرون الانكليز فى إستروليا فلم يكن لهم أى تصور لحياة سكان البلاد الأصليين ومعتقداتهم ، ولم يكن يهمهم فى استروليا شئ إلا أنها تهيء لهم مناطق واسعة غير محدودة لاستغلالها ، ولم يكن لهم شئ أسوأ من أن يحول دونهم السكان السود ، والذين كانوا يستوطنون المناطق الساحلية و فى جو معتدل و كانوا يملكون مناطق مخصبة ألقوا أنفسهم - بمثابرة وحزم شديدين - أمام الرجال البيض برفض طرقهم مع التنازل عن حرية الحركة فى بلادهم لغرض الاجتماع والاحتفالات واستنتاج الأغذية ، وأصبحت الأسقام والأموات ظاهرة عادية ، وفى نفس الأوان واجهت المناطق المقفرة المركزية للسكان الأصليين معاناة أليمة بتوسع المستعمرين الذين اضطروهم إلى التخلى

عن تلك المناطق لانشاء الزرائب لماشيتهم وغنمهم واستحوذوا على آبار الماء وصادوا حيوانات الطوطميين حتى أبادوا كلياً ، وانتهكوا أعراض نسائهم وبعثوا أبناءهم إلى أروقة مدارس الارساليات المسيحية ، واستخدموا رجالهم فى الأشغال التافهة المهينة ، والذين كانوا متمسكين بتقاليد المناطق القبلية على أساس صلة روحية وطيدة أجبروا على تركها والعيش فى عالم الرجال البيض ، الأمر الذى يعنى أن يتخلوا عن تقاليدهم الحضارية بتاتاً ، فانخفض عـددهم إلى ربع عددهم الأصلى و نيطت مصائر معظمهم بالمناطق المحددة التى تقوم بادارتها الحكومـة أو الارساليات المسيحيـة يرتادون المدن والمستعمرات سعياً وراء أعمال شاقة مضنية ، أوأن يستعيروا انتباه السياح أوهبات البيض ، إن أوضاع السكان الأصليين فى استروليا تبعث على الحزن و الهم ، إنهم يسكنون فى خيام الحديد القديم المكشوفة نحو السماء و يلبسون الأطمار البالية الرثة للوقاية عن الحر و القر و يعانون من أبشع أنواع التميز العنصرى و خاصـة فى دور السينما ، فلا يسمح لهم أن يجلسوا إلا على مقاعدهم المحجوزة و لا يتاح لهم فرصة أن يشتروا شيئاً من الدكاكين و المخازن العامة النزيهة ، لأن الرجال البيض المحليين يشكون أنهم « أنجاس مناكيد و أن رائحة كريهـة تخرج من أجسامهم » و بينهما طبقة الأخلاط التى يبلغ عدد أفرادها عشرين ألفاً ، لا يعترف بهم آباؤهم البيض وترفضهم المجتمعات ، لأن الرجال البيض فى إستروليا مصابون بالعصبية اللونية تماماً (١) .

لاتؤثر الامبرالية الأوربية على السكان السلاليين والأصليين فحسب بل تأثيرها رجال الحضارة المتقدمة فى آسيا و أفريقيا أيضاً ، ومن بينهم عدد كبير من المسلمين

(١) Into the Primitive Environmnt, Robert Brian Prentice Hall Inc. Enqlewood Chiffs, Newjersey 1972, P. P. 7 - 65

و المناطق التى تأثرت إلى حـد شنيع بالاستعمار الأوربى هى مناطق آسيا الوسطى التى عبر عنها لينين بنفسه بـ « السجن الواسع للأمم » ويعتمد النظام السوفيتى كلياً على البوليس والجيش والبيوقراطية حتى الموظفين فى المستشفى للأمراض العقلية لابقاء فاصل بين المحكومين و المقهورين ، كما كانت الحكومة تسلك هذه الخطة فى عهد زار (CZAR) رئيسها السابق .

كان قبل الثورة الشيوعية يسكن ٥٠ مليون على الأقل من المسلمين فى تركستان وكان من أمجادهم عدد من العباقرة الأفـذاذ من علماء العالم الشهير أمثال الامام البخارى الذى ألف كتباً قيمة منقطعة النظير فى فن الحديث ، والفارابى وابن سينا و الخوارزمى ذلك الفلكى الشهير ، و قـد عاش شرقى تركستان التى احتلتها الصين الشيوعية ، والغوريون الذين أنشأوا شبكة من المدارس الدينية ، ومنذ القرن الخامس عشر لليلاد ، و استمر الاتحاد السوفياتى الجائر الغاشم فى توسيع عدة مستعمرات فى عهد « أوان » (IVAN) الجائر بابادة المسلمين ، وأباد عدة دويلات مسلمة حرة والخانات من نهر « فولجا » (VOLGA) إلى منتهى آسيا الوسطى ، و تقدم معاملة روسيا فى عهد زار أو فى العهد الشيوعى المعاصر للأقليات الاسلامية صورة لاتختلف عن الاستعمار الغربى فى مكان آخر ، فقامت بقمع الحرية السياسية بكاملها بلامواربة ، و فى العهد الشيوعى فرض الحظر على أن يمارسوا الاسلام فى حياتهم ويعلموا أبناءهم تعاليم إسلامية ، و تحولت المساجد إلى متاحف و منتزهات و أمكنة للنوادى (CLUBS) و فرض الحظر على الحج ، و فى عهد لينن و استالن كان إلقاء القبض على الأغلبية الساحقة و إعـدامها و النفى إلى صحارى سائبريا شيئاً عادياً و غيرت اللغات المحلية الأصلية ، وحلت محلها اللغة السوفيتية وفرض الحظر على الخط العربى ، و وضعت تركستان المسلمة سياسياً إلى شطرين اثنين بين روسيا و الصين وانقسمت

المنطقة السوفيتيـة إلى ست ولايات تحت سيطرة السلاويين البيض ، وربط اقتصاد المنطقة كلياً بروسيا باستبدال إنتاج المحاصيل الكاسبة للنقود محل المحاصيل الغذائية ، هكذا غيرت روسيا آسيا الوسطى كلها إلى مزرعة القطن على أوسع نطاق وشجعت الحكومة على ذلك ، و يشجع عليه الرجال البيض من المستعمرين السلاويين فى هذا العصر ، كوسيلة دامغة لتأمين العبودية المستقلة على المواطنين الأصليين .

وأحدث مثال للامبريالية الغربية التى عملت بتواطىء تام مع مغامرات الارساليات المسيحية الجدب و القحط فى المنطقة الساحليـة لافريقيا ، و كل من له إلمام بوضع هذه المنطقة سيسلم أن تدخل المعونة الأجنبية خلال عام ١٩٦٠م بسبب تلقيح المواشى وحفر الآبار بدون أى تمييز كان السبب المباشر لافساد السطح الأرضى و انهالت المعونة الأجنبية بسبب القحط ، التى قام بتوزيعها الارساليات المسيحية وأدى ذلك إلى الاعتماد الكامل على المنظمات الأجنبية و واجهها المسلمون من البدو والفلاحين الذين أسقطوا إلى درجة الفقراء والبائسين فى الاستكانة والمهانة و الذين كانت الارساليات المسيحيـة تعلمهم أن يعتمدوا كلياً فى أرزاقهم على الوسائل المسيحيـة الغربية و أوجـدت هذه الخطة صـلة الطاعمين و المطعمين بين العـاملين الاجتماعيين للارساليات المسيحية ، و بين السكان المسلمين المواطنين ، و منذ أن وقع الجدب المدقع المفدح فى ٧٥ — ١٩٧٤م قد تحسن الوضع الاقتصادى فى تلك المناطق ، لكن الارساليات المسيحية فضلا أن تنسحب عن هـذه المناطق فهى مشغولة الآن بتنفيذ برنامج طويل الأمد للتنمية ، وهكذا أعلن المجلس الدولى للكنائس فى يونيو ١٩٧٥م عن معونة تبلغ خمسة ملايين دولار لمدة سنتين للمواطنين فى المناطق الساحلية ، ويظهر من البيان « أن هناك تركيزاً خاصاً على الأطفال » ومما لا شك فيه أن منهج الحياة للجيل التأشى سيتغير ، و لو أن معظم الآباء متمسكون بالتقاليد القديمة السلالية كنهج

لحياتهم (أى الاسلام) لكن الأجيال الناشئة ستضطر إلى الهجرة إلى المدن للحصول على الوسائل التى يحسنون بها مستوى معيشتهم جهد الطاقة بالصناعة المستحدثة ، لذلك سيكون التعليم و لو بدائياً فى اللغة الفرنسية أو الانجليزية مهما بالنسبة إليهم .

و أوضح مثال و أشهره للاستعمار الأوربى ، هى دولة إسرائيل فان الصراع بين إسرائيل والعرب ليس إلا الحرب الاستعمارية ، ومن العبث أن نعتمد على عداء أوربا للساميين لغرس إسرائيل ، و الحقيـقة أن مؤسس الصهيونية الحديثـة تيودر هرتزل (Theodor Herzl) كان يفتخر على أنه سيحصل على التاييد الودى حتى من فليو (Phleve) مخطط مذبحة اليهود فى روسيا فى نهاية القرن الماضى ، وقد كتب بصراحة فى مذكراته « إن القوى المضادة للقبائل السامية ليست أعداء ألداء لليهود بل بالعكس هم سيكونون أصدقاءنا الأصفياء ، وستكون البلدان المضادة للبلدان السامية حليفة لنا ، و كيف كان يتصور هرتزل ذلك التغير المفاجى فى تلك البلدان الملتهمة بأنها تضمر الأفكار المضادة للبلدان السامية ؟ «إنه قال وهو يتحدث إلى القراء الأوربيين فى كتابه التاريخى « دولة اليهود » (Jwish State) فى تاريخ ١٨٩٦م « إن غلبة الصهيونية على فلسطين هى نوع من الامتداد لسياسة الامبريالية الأوربية فى الخارج ، إنه يجب علينا أن نقيم فى فلسطين جزءاً من الحصن لأوربا ضد آسيا ، و موقعاً خارجياً لحضارة ضد الوحشية و يجب علينا أن نقيم العلاقات مع أوربا كلها و التى تكون ضماناً لوجودنا » .

و فى تعبير آخر يريد هرتزل أن يشكل الاستعمار الصهيونى فى فلسطين على غرار السياسة الامبريالية فى بقايا آسيا و إفريقيا ، و صرح وسط تصفيقات حادة المستر ميكس نورديو (Max Nordeau) الصـديق الوفى للمستر هرتزل فى المؤتمر الثامن الصهيونى فى ١٩٠٧م فى هيغ (Hague) « نحن نقصد أن نذهب إلى فلسطين كحاملى لواء الحضارة بدعوة تمديد الحدود الأخلاقية لأوربا من النيل إلى الفرات »

و يجدر بنا أن نمعن النظر فى أفكار هرتزل و وجهات نظره ، التى سببت إلى إنشاء الوراثة الصهيونية ، و التى رسمت السياسة الأساسية لنشاطات الصهيونية لبومنا هذا ، هو يصرح فى مذكراته المطبوعة قائلا :

« إن الحركة الصهيونية اليوم (١٨٩٨م) هى حديثة كليا ، و هى نابعة من البيئات و الظروف للحياة المعاصره وتهدف إلى حل المشكلة اليهودية على أساس الامكانيات السياسية لعصرنا و إن المكسب العام بانشاء الدولة اليهودية لأوربا أنها ستقيم خط السكك الحديدية لها فى داخل آسيا وهى ممر الرجال المثقفين الأوربين ولو قدر الله أن نرجع إلى أراضينا السلالية التاريخية فسوف نأتى إليها كممثلين للحضارة الغربية و التقاليد الصافية النقية الغربية إزاء التقاليد والقيم الشرقية المدروسة الهامشية » .

و لكن ماذا يكون مصير المواطنين العرب الاصليين الفلسطينيين ؟ و ما هى نظرية هرتزل فى تخطيطه للصهيونية على الأراضى الحقيقية لهم ، فيوضحها هرتزل فى مذكراته المطبوعة فى الألفاظ التالية :

« سنطالب كل شئ نحتاج إليه فى إنجاز خطتنا وهو مزيداً من الأراضى ومزيداً من المهاجرين ، أما أصحاب الممتلكات الذين يشعرون بفرح و سرور بالغين بتوغل الصهيونية فليبقوا فى ظنهم بأنهم يخدعوننا برفع أثمان ممتلكاتهم أضعافا مضاعفة من أثمانها الحقيقية لكننا سوف لا نعيد إليهم شيئاً منها و إذا اضطررنا فنبيع إلى اليهود وحدهم من تلكم الأراضى و العقارات و الممتلكات ، وسيجرى التعامل حول العقارات الثابتة بين اليهود فحسب ، و سننزع الممتلكات الخاصة الشخصية بالحكمة والتدبر من الحكومة ، و سنتمكن فى ذلك الأوان أن نشرد سكان العرب البائسين الفقراء من ثغورنا ليحصلوا على وظائف مهينة فى البلدان المجاورة ، ونفرغ كل جهد ممكن أن لا نعطيهم أية وظيفة فى بلادنا الخاصة » .

تعطى بعض أجزاء كتاب هرتزل « الدولة اليهودية » صورة صادقة للخطب التى ألقاها هتلر قبل أربعين سنة فحسب ، يقول هرتزل :

« القوة هى الحق ! و إذاً ذلك هو الوضع ، فان تحسين العنصر اليهودى أول شرط للصهيونية ، و لا بد أن يكون قوياً للحرب ، و إن العصبية لازمة للاحتفاظ بعظمة الانسان ، أما السلام المؤبد هو مجرد حلم و ليس بحلم جميل ، بل لابد من الحرب و هى عنصر لازم فى خطة الله للعالم ، و إن الاخوة العالمية ليست و حتى حلماً جميلا » .

و بعد تأسيس دولة إسرائيل فى ٥٠ - ١٩٤٩م جاؤا بعدد كبير من اليهود البائسين من البلدان الناطقة بلغة الضاد ليؤدوا واجبات فى الجيش و القيام بأعمال وضيعة مضنية أخرى ، أما البيض من اليهود الأوربيين ، فانهم يعيشون حياة اقتصادية مرفهة بينما يعيش اليهود البائسون الوافدون من الشرق فى المناطق القذرة لأية مدينة و بلد من البلاد ، و معظم المجرمين والمدمنين للخمر و المومسات تنتمى إلى اليهود الشرقيين كما يشغل البيض من اليهود الأوربيين مناصب عالية ذات النفوذ فى الاقتصاد و السياسة .

و يندر الزواج بين الاسرائيليين الأوربيين و الشرقيين ، و لا تقوم بينهما صلة اجتماعية إلا تحلة للقسم ، ولا يتلقى يهود الشرق العلوم العالية فى معظم الأحوال ، و البيض هم أكثر طلاب الكليات و الجامعات عدداً ، و يشعر السود من اليهود الشرقيين بمهانة و يتعرضون للتمييز العنصرى و لذلك كونوا جمعية باسم قوة السود (BLACK POWER) و الحقيقة أن وضع يهود الشرق فى إسرائيل ليس أحسن من وضع السود فى أمريكا ، و قد ناشدت بعض الدول العربية كمراكش و العراق اليهود الناطقين بالضاد فى إسرائيل خلال الأعوام الأخيرة أن يعودوا إلى وطنهم الأول ، وقد وضع ذلك الحكومة الاسرائيلية فى ارتباك ، فلا تستطيع أن ترضى بذلك بأى حال من الأحوال .

الدعوة الإسلامية

« ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » ؟

[طلب من سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي - وهو في زيارته إلى البلاد المقدسة في مناسبة حضور المؤتمر التعليمي العالمي الذي عقدته جامعة الملك عبد العزيز - أن يلقي محاضرة (وقد وصل إلى جدة في طريقه إلى الهند) في جامعة الملك عبد العزيز بجدة أمام أساتذتها وطلبتها ، وعين له موضوع الحديث عن كتابه الشهير « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وكان مسافراً من غد ، مشغولا بالتأهب للسفر، فلبى دعوة الجامعة ، وألقى المحاضرة الآتية التي نقلها من الشريط الأخ محمد ظفر الندوي ، أقدمها نظراً لما اشتملت عليه من معلومات جديدة عن تأليف هذا الكتاب وأهمية الموضوع].

« التحرير »

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على رسوله الكريم و على آله و صحبه و بارك وسلم ، أما بعد : أيها السادة يسرني و يسعدني في هذه المناسبة الكريمة أن أجيب عن السؤال الأول الذي تقدم به أخونا الكريم ، فان مؤلف الكتاب إذا سمع الناس يتحدثون عن كتابه و عن مجهوده العلمي فانه بحكم الطبيعة يحمد الله و يتفاءل بذلك . وإنني كمؤلف حقير وكمساهم في العمل الاسلامي الكبير اغتبط بهذه الفرصة و اغتبط بهذا السؤال ، و ليس ذلك بغريب فانني إذا رأيت الناس من الطبقة المثقفة في مؤسسة علمية و في مركز علمي ثقافي كبير كجامعة الملك

عبد العزيز فى جدة فى هـذه البلاد المقدسة ، إذا رأيت إخوانى المعنيين ببحوث علمية ، يعتنون بهذا الكتاب الذى كان باكورة مؤلفاتى، ولعل كثيراً من الاخوان فى هذا الاحتفال لا يعلمون أن هذا الكتاب كان بداية تاريخ التأليف ، وقد ألفت هذا الكتاب و أنا قـد جاوزت الثلاثين من عمرى ، و كان الموضوع أضخم من أن يتناوله مثلى فى مثل هذه السن المبكرة و فى بلد بعيد عن مركز الاسلام و عن مركز الثقافة الاسلامية وعن مركز اللغة العربية . فانى كنت ولدت فى الهند ونشأت فيها ، ولم يقدر لى أى سفر خارج الهند ، فكانت الرحلة الأولى المباركة التى وفقنى الله لها هى الرحلة التى قمت فيها بأداء فريضة الحج سنة سبع وأربعين الميلادية يعنى بعد تأليف هذا الكتاب بأربع سنوات تقريباً أوثلاث سنوات ، فكانت فى الحقيقـة مغامرة علمية لم أكن متهيأ لها ولا مرشحاً لها ، وكان من الجسارة العلمية إن لم تكن من الوقاحة أن أتناول هذا الموضوع الخطير الذى كان جديراً بقلم أكبر من قلمى وبعقل أوسع من عقلى وبتجربة أطول وأوسع من تجربتى كمؤلف ، ولـكن الله يفعل ما يشاء ، كأنى كنت أشعر بدافع يدفعنى ، برغبة غامضة ملحة لم أستطع أن أغالبها ، كأن سائقا يسوقنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع ، ولو استشرت العقل و اعتمدت على تجارب المؤلفين ، و على مقاديرهم و مكانتهم العلمية لأحجمت ، ولعدلت عن هذه الفكرة ، و لو ذكرت لأحـد من العقلاء العلماء ، أصحاب الأقلام والمؤلفين ، لأشاروا على بالعدول عن الخوض فى هذه المعركة العلمية العقلية ، و لـكنـه كان من الخير أننى لم أستشر أحداً كما يقول الدكتور محمد إقبال الشاعر المعروف: ليس من الخير أن تستشير عقلك دائماً ، فنح عقلك جانباً فى بعض الأمور ، فان العقـل يصور لك الخوف فى معارك خطيرة و يشير عليك بالابتعاد عن مثل هذه التجارب الخطيرة .

أعتقد أنه كان خيراً لى أننى لم أذكر و لم أتحدث فى هذا الموضوع إلى كبار

العلماء وكبار الكتاب فى الهند ، إننى كنت أشعر بسائق داخلى يسوقنى إلى التحدث فى هذا الموضوع ، و كانت المراجع التى كنت أستثيرها فى هذا الموضوع قليلة لأن ذلك العهد كان قريباً بالحرب العالمية الثانية ، وكانت الصلات تكاد تكون منقطعة بين الهند والبلاد العربية ، فكانت الهند تستورد قليلا من البضاعة العلمية والبحوث العلمية والمراجع التاريخية و الثقافية التى كانت تزخر بها البلاد العربية بصفة عامة ، و مصر بصفة خاصة ، و لـكننى كنت مدفوعاً ، لم أكن فى ذلك - فى الحقيقة - مخيراً بل كنت مسيراً ، كأن هاجساً يهجس فى ضميرى و يقول لى : لا بد من وضع كتاب فى هذ الموضوع و كان الاسم طريفاً فى الحقيقة .

كان من أسباب استرعاء هـذا الـكتاب انتباه كثير من الناس و إثارته لدهشة كثير من الناس أن الموضوع كان طريفاً مبتكراً « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» هل للمسلمين صـلة وثيقـة بالمصير العالمى ، بالأوضاع العالمية حتى يجوز أن يقال : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أو ماذا سيصبح العالم و يجنى بتقدم المسلمين ؟

كان الناس قد اعتادوا فى ذلك العصر و قبل العصر الذى ألف فيه هـذا الـكتاب أن ينظروا إلى المسلمين كشعب و كأمة ، إذا أعطينا المسلمين حقهم كأمة ذات رسالة وذات دعوة ، فان المؤرخين والـكتاب و الباحثين اعتادوا أن ينظروا إلى المسلمين كعنصر من عناصر النوع الانسانى الـكثيرة ، و لـكن تشجع المؤلف ، مؤلف هذا الـكتاب و تخطى هذه الحدود المرسومة و خرج من الاطار التقليـدى الذى فرض على المؤلف و الـكتاب فى العرب و العجم فأراد أن ينظر إلى العالم من خلال المسلمين و شتان بين النظرتين ، نظرة ينظر بهـا إلى المسلمين من خلال العالم ، من خلال الحوادث التى تجرى فى العالم ، من خلال التطورات التى تحدث فى العالم ، المسلمون شعب من الشعوب يخضعون لما يجرى فى العالم فى إطار عام واسع

و لكن قلما يكون النظر إلى العالم من خلال المسلمين .

إنهم كانوا يبحثون دائماً ماذا خسر المسلمون بسبب الحادث الفلانى ؟ بسبب التطور الفلانى ، بسبب انقراض الحكومة الفلانية ، ماذا خسر المسلمون بسبب نهضة الغرب الحديثة ، ماذا خسر المسلمون بسبب الثورة الصناعية الكبرى التى حدثت فى الغرب ، ماذا خسر المسلمون بانقراض الحكومة المغولية مثلا هنا فى الشرق ، أو بانقراض الخلافة العثمانيـــة ؟ و ماذا خسر المسلمون بفتح الغرب لكثير من قلاع الاسلام و المسلمين ، ماذا خسر المسلمون بفقرهم فى الاقتصاد و فى السياسة ، وفى القوة الحربية .

كان ذلك الطريق المرسوم التقليدى الذى اعتاده الناس و لكن الله سبحانه و تعالى ألهمنى وشرح صـــدرى أن أكتب فى موضوع ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، كأن المسلمين هم العامل العالمى ، العامل المؤثر فى مجال الأمور فى العالم كله ، ليس فى منطقة جغرافية أو منطقة سياسية خاصة ، إنه كان فتحا جـــديدا فى الحقيقة ، وأنا أعتقد أن هذا الكتاب إنما استرعى انتباه كثير من الناس على صغر سن المؤلف و على قلة بضاعته فى العلم ، لا لأنه ألف تأليفاً لم يسبق له كتـاب يعرف به فى مصر وفى غير مصر ، إن السرفى نيل هذا الكتاب ذلك الاهتمام من القراء هو أنه كتب وبحث من مستوى رفيع ، من مستوى الأمة الاسلامية التى ترغم التاريخ على أن ينحو نحواً جديداً فأنا مع كل اعترافى بفقرى فى العلم وقلة بضاعتى فى الثقافة أحمد الله سبحانه و تعالى - و لا يستغرب أن يحمد المؤلف على توفيق الله و على إلهامه - أنه وفقنى لتأليف هذا الكتاب فى هذه السن المبكرة و فى هـــذا الزمن المبكر ، و وفقنى لأن أبحث و أن أطرق هـــذا الموضوع من ناحية جديدة وبأسلوب جديد « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » ؟

هل المسلمون فى وضع يمكن أن يقال : إن العالم يخسر شيئاً بانحطاطهم؟ هل المسلمون على مستوى يجوز أن يقال إن العالم قد خسر شيئاً بتقهقرهم و بتراجعهم و بتخلفهم عن مجال القيادة العالمية ؟ إننى أخاف و أخشى أن كثيراً من الكتاب الاسلاميين الذين كانت لهم مواقف جليلة ، و كانت لهم سوابق عديدة أنهم فكروا هـــذا التفكير ، إن الحروب التى تراكمت على المسلمين مع تاريخ الاسلام ، و إن مركب النقص الذى أصيب به الجيل الجـــديد ، الجيل المثقف ، كان يعوق كثيراً من الباحثين أن يربطوا قضية المسلمين بقضية العالم ، بقضية الانسانية ، أين المسلمون من القيادة العالمية : المسلمون فقراء ، المسلمون ضعفاء ، المسلمون محكومون من الغرب ، المسلمون خاضعون للثورات الحديثة . فهل يصح أن يربط مصير العـــالم أو مصير الانسانية بمصير المسلمين ، بواقـــع المسلمين ؟ لا ، إن كثيراً من الناس لم يكونوا يصدقون فى ذلك الحين أن المسلمين لهم من الأهمية والخطر والتأثير و من المكانة ما يؤهلهم لهذا البحث ، ويسوغ لمؤلف أن يؤلف كتاباً فيبحث عن مدى خسارة العالم الانسانى ، العـالم المعاصر بانحطاط المسلمين ، إن الموضوع كان خطيراً ، وكان البحث فيه شبه مجازفة و شبه مغامرة علمية ، و لكن الله سبحانه وتعالى أعان على ذلك .

ألفت هذا الكتاب على تردد . على تخوف منى ، لأننى كنت جديداً فى مجال التأليف خصوصاً فى اللغة العربية فاننى لم أكن قد زرت بلداً عربياً قبل تأليف هذا الكتاب بل بعد تأليفه بأربع سنوات أو بخمس سنوات إنما كانت صلتى باللغة العربية صلة دارس ، صلة تلميذ ، يولد بعيداً أو يعيش بعيداً عن مركز الثقافة العربية و عن مركز العلوم الاسلامية الأصيلة ، و لكن الله إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه وقوى على ذلك فألفت هذا الكتاب على تخوف وعلى شك .

كان يساورنى شك أحياناً هل ينال هذا الكتاب تشجيعاً؟ هل ينال هذا الكتاب

تقديراً فى البيئات العربية الخالصة ، وفى البيئات الاسلامية البعيدة ، فأرسلت فصلا من هذا الكتاب فى التعريف به ، إلى الدكتور أحمد أمين بك وهو رئيس لجنة التأليف و الترجمة و النشر فى مصر ، وكنت أمنى نفسى بأن هذا الكاتب الاسلامى الكبير هذا المؤلف المصرى الشهير الذى نالت كتبه خصوصاً سلسلة فجر الاسلام و ضحى الاسلام التى كان لها دوى فى الأوساط العلمية ، كنت أمنى نفسى و أتمنى على الله أن ينال هذا الكتاب من اهتمام منه ولكنى فوجئت بكتاب تلقيته منه فيه الشجيع و التقدير ، و يطلب منى نموذجاً من هذا الكتاب فأرسلت إليه فوافق على فكرة هذا الكتاب و إصداره من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، و كانت لجنة مؤقرة ، وقدم له مقدمة لم تكن فيها تلك القوة التى كنت أتوقعها من رجل مثله ، من باحث إسلامى كبير ، و لكن صدور هذا الكتاب من لجنة التأليف و الترجمة و النشر فتح لهذا الكتاب طريقاً إلى الأوساط العلميـــة . و كان الترحيب به و استقباله فوق تقديرى و فوق ما كنت أتوقع .

بقى أن أجيب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ يصعب على المؤلف - كما تعلمون - من جرب التأليف أن من أصعب الأمور على المؤلف أن يلخص الكتاب الذى ألفه وسهر عليه وبذل فيه وقتاً طويلا واعتمد المراجع الكبيرة أن يلخصه فى دقائق ، و لكنى سأحاول أن أجيب عن السؤال ، فأنا أولى بالاجابة عنه .

فى الحقيقة إن العالم قد خسر جوهره ، خسر أغنى ما عنده وأحوج مايكون إليه ، قد خسر قيمته فى الحقيقة بانحطاط المسلمين ، لأن المسلمين هم الذين كانوا يضفون على هذا العالم القيمة المعنوية و جدارة الحياة و البقاء و الغاية الرشيدة التى يتجه إليها العالم .

ما هى غاية الحياة ؟ لماذا خلق الانسان ؟ لماذا خلق هذا الكون ؟ لماذا خلقت

هذه الوسائل الكثيرة الوفيرة التى بثها الله على الأرض فى الجو ؟ لماذا أودع الله هذه القوة الهائلة فى العقل الانسانى ؟ لماذا خلق الله هذه الطاقات البشرية الهائلة فى طبيعة الانسان ، هذه كلها أسئلة وجيهة ، كان المسلمون هم الذين يعللون ويفسرون هذه الخصائص البشرية ، التى تمتاز بها البشرية ، كان المسلمون وحدهم حاملى رسالة أكرمهم الله تعالى بها عن طريق محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة و السلام ، و كان للمسلمين وحدهم أن يفسروا هذا المخطط الدقيق الواسع الشامل الذى خلق الله عليه الكون وهذه الحكمة الدقيقة العميقة التى خلق الله لأجلها الانسان واستخلفه فى هذه الأرض « إنا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان » لماذا حملها الانسان ؟ ولماذا يقول الله تبارك و تعالى « و علم آدم الأسماء» ولماذا أعرض الملائكة عن الاجابة عن السؤال الذى وجهه الله تعالى فقالوا «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العزيز الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهـــم » ما هو السر للخلافة الالهية ، سر خلافة الانسان عن الله تبارك و تعالى ، هذه كلها أسرار ، هذه كلها أسئلة عميقة ، أسئلة وجيهة لها كل الوجاهة ولها كل الأهمية ، وهذه الأسئلة مطروحة أمام المكتبة العالمية . أمام كبار الباحثين ، كبار العقلاء ، و كبار الفلاسفة و المؤرخين ، هذه الأسئلة مطروحة أمامهم تفرض عليهم أن يجيبوا عنها ولايستطيعون أن يجيبوا عنها إلا إذا فهموا الرسالة السماوية ، وإذا فهموا الغاية الرشيدة التى خلق لأجلها الانسان « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً و أنكم إلينا لا ترجعون » إن هذه اللغزة ، اللغزة البشرية . اللغزة الكونية التى لاتوجد لغزة أكبر منها وأدق منها ، لا نحلها إلا إذا فهمنا الرسالة التى اختير لها المسلمون ، وهذه القيادة البشرية التى اختير لها المسلمون ، فاذا فهمنا لماذا خلق المسلمون عرفنا لماذا خلق هـــذا الكون ، إذا فهمنا لماذا اتصلت الأرض بالسماء أو اتصلت السماء بالأرض عن طريق الوحى ، عرفنا سر

خلافة الانسان و عرفنا الغاية التى يجب أن تتجه إليها الأجيال البشرية فى كل زمان و مكان .

ماذا كان العالم لو لم يكن المسلمون ؟ و إذا كان هذا الكون ، و كانت هذه الأسرار الطبيعية ، و هذا الجو الفسيح و هذا الكون الزاخر و هـذه النشاطات الباهرة و هذه القوة الكونية ، و لم تكن الرسالة الاسلاميـة و الأنبياء ، كان هذا الكون كله ، وكانت هذه المسيرة التى قطعتها الأجيال البشرية خلال هذه المدة رحلة لا غاية لها ، كلمة لا معنى لها ، وكانت كلها حيرة وضلالا ، كانت كلها تيهاً وفساداً ، كانت كلها عبثاً و ضرباً من اللهو ، فالاسلام هو الذى يفسر هذا الكون ، و الرسالة الاسلامية التى أكرم بها المسلمون و الوصاية العالمية التى اختير لها المسلمون ، هى التى تستطيع أن تفسر هذه المسيرة الانسانية كلها و الغاية التى يتجه إليها العالم ، فلما تراجع المسلمون وانسحبوا عن ميدان القيادة ، وتخلوا عن دورهم القيادى التوجيهى الارشادى ، كان هذا العالم كله كغابة موحشة تزخر بالحيوانات المفترسة والدواب السائمة والأسود الضارية والنمور الفتاكة و الذئاب والكلاب العاوية و كانت غابة تتحكم فيها شريعة الغابات و قانون العصابات ، و كانت الأمم كلها قطعانا من الغنم لا راعى لها و لا قائد ، ترد حيث تشاء و تصدر من حيث تشاء ، و كانت الانسانية كلها و هى مسلحة كفيل هائج يدوس ما شاء و يقتل بأقوى الأسلحة الأطفال و يخرب القرى و يدمر الخلائق الانسانية .

هذا شأن الغرب ، فلما تخلى المسلمون عن قيادة العالم أصبح الغرب كفيل هائج ، كرجل سكران تنده السيف البتار ، و سكين حادة ، لا يعرف كيف يستخـدمها فى صالح الانسانية . فى بناء هذا الكون الجديد ، كيف يستخدمها فى خدمة الانسانية ، وهذا كله لأن المسلمين تخلوا عن دورهم القيادى وعن مسئوليتهم المشرفة التى أكرمهم

الله بها « كنتم خير أمـة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وأنا قلت فى الكلمة التى ألقيتها ممثلا ونيابة عن الأعضاء والمندوبين الذين حضروا فى مؤتمر الدعوة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة قلت : إن بعثة الأنبياء السابقين كانت بعثة مفردة ، و لكن بعثة نبينا محمد ﷺ كانت بعثة مقرونة مزدوجة ، كانت بعثة نبى مقرونة ببعثة أمة . فكانت هنالك بعثتان ، بعثة نبى للأمة ، وبعثة أمة للأمم كلها ، وإلى ذلك أشار الله سبحانه وتعالى بقوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس » إنها أمة مخرجة ، إنها أمة مخططة . أمة مقصودة لم تكن مصادفة ، لم يكن نهوضها أو خروجها بمجرد مصادفة ، وحادثاً تاريخياً . لا ، إنها مخطط إلهى ، تقدير العزيز الحكيم « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف » يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط » فالمسلمون هم قوامون لله ، و أكثر من ذلك صراحة ما ثبت بالحديث الصحيح عن النبى ﷺ قال لبعض من بعثهم إلى اليمن أو إلى قبيلة من القبائل « بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين » فكانت البعثة المحمدية هى البعثة المقرونة المزودجة ، بعثة نبى و بعثة أمة ، أمة مبعوثة ، و قد كان الصحابة رضى الله عنهم قد أحسنوا فهم هذه الحقيقة و جرت هـذه الحقيقة على لسانهم من غير تكلف فقال ربعى بن عامر فى الحديث الذى تحدث به إلى رستم قائد قواد الفرس فقال : « الله ابتعثنا » لم يقل « إنما خرجنا ، نهضنا ، لا ، الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده إلخ » فهو يقول : الله ابتعثنا ، فلما كان المسلمون مبتعثين و كانت الأمة مبعوثة مبتعثـة يراد بها إرشاد البشرية و هداية البشرية . ويراد بها قيادة العالم إلى الخير ، كانت كارثة كبرى ، مأساة عالمية لا تقاس بمقياس ولا تقـدر بالمقاييس الصناعية لمـا تخلى المسلمون عن تبعتهم ، وعن هذه المسئولية الضخمة المشرفـة التى أكرمهم الله بها ، كانت كارثة العالم كله ،

يتسكع و يتيه فى المتاهات ، المتاهات العقلية ، و المتاهات العقائدية ، و المتاهات السياسيـــة و متاهات التخطيط المدنية و الحضارية « ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » .

إنه لا مصدر للنور إلا مصدر واحد و هو مصدر الوحى ، مصدر الهداية الالهية مصدر الرسالات السماوية ، و كان المسلمون مختصين بهذا المصدر ، هم الذين شرفهم الله تعالى بالاصطفاء من هذه المنابع السماوية المنابع الدينية الأصيلة ، فلما تخلى المسلمون عن تبعتهم وتكاسلوا و تقاتلوا وانطووا على نفوسهم - قصة طويلة حكاها المؤرخون و حكيتها فى كتابى « ماذا خسر العالم » فى الباب الثانى « أسباب تأخر المسلمين » قصة تقرؤونها مفصلة فى كتب التاريخ - فلما انطوى المسلمون على نفوسهم وشغلوا بأنفسهم و شغلوا بالقتال فيما بينهم ، ونزع الله عنهم القيادة لأن الأرض يرثها عباده الصالحون الأمناء ، و إن الأرض يرثها القوى الأمين ، كانت شقاوة للانسانية .

« يتبع »

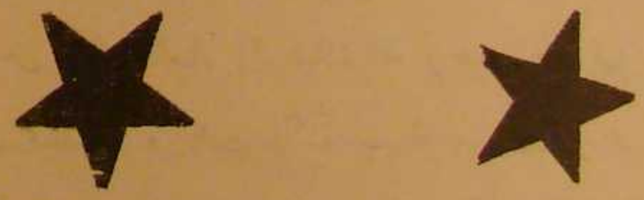

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر

وجوبه وأهميته فى ضوء القرآن و السنة

(الحلقة الأولى)

السيد جلال الدين العمرى

تعريب : محمد أجمل أيوب الندوى

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر مصطلح قرآنى لمهمة النبى :

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر مهمة نبوية ، و هو من المصطلحات التى عبر بها القرآن الكريم عن عمل الأنبياء و خلفائهم فقال يصف رسول الله ﷺ :

« يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر » (١) .

وصية لقمان لابنه بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر :

و قد أوصى لقمان ابنه بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و التحمل لكل ما يتعرض له فى سبيله ، لأن هذا العمل يتطلب جهداً كبيراً ، و عزيمة صادقة و همة بعيدة ، و لا يصبر عليه إلا أولو العزم من الرجال ، فقال لابنه :

« يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر و اصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » (٢) .

و كان لقمان من الصلحاء الأتقيـــاء ، و إن لم يكن من الرسل و الأنبياء ،

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٢) سورة لقمان الآية ١٧ .

ولم يذكر القرآن وصية لابنه لأنها تلقى ضوءاً على سيرته و أخلاقه ، و إنما أوردها لنتبعها و نتمثلها ، يقول العلامة الجصاص رحمه الله :

« إنما حكى الله تعالى لنا ذلك عن عبده لنقتدى به و ننتهى إليه » (١) .

كان المؤمنون من أهل الكتاب قائمين بفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

كان أهل الكتاب فى عهد نزول القرآن قد تسرب إليهم فساد ، وخيم عليهم ضلال ، وقد حادوا عن الصراط المستقيم ، وتركوا دين الله الحق ، ولكن لم تزل طائفة منهم قائمة على سبيل الحق تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر ، فأثنى عليها القرآن مما يدل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الشروط اللازمة للقيام على سبيل الحق ، قال تعالى :

« ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل و هم يسجدون ، يؤمنون بالله و اليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون فى الخيرات و أولئك من الصالحين » (٢) .

تصريح العلماء بأن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر مهمة الأنبياء :

تبين من ذلك أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر تعبير قرآنى صريح عن مهمة النبوة ، و ليس تعبيراً جزئياً محدوداً يشير إلى جزء من أجزاء مهمة الأنبياء وخلفائهم ، بل هو تعبير واسع شامل يدل على الجهد الذى يبذله الأنبياء و خلفاؤهم فى سبيل دين الله تعالى فكانت تعاليمهم كلها محتوية على الأمر و النهى ، فكانوا إما يأمرون بالمعروف و إما ينهون عن المنكر ، و لعلك تستطيع أن تقدر بهذا التعبير المهمة العظيمة التى قام بها كل نبى و الصالحون من أمته فى عصرهم و التى

(١) أحكام القرآن ، المطبعة البهية مصر ١٣٤٧هـ ٢ : ٥٩٢

(٢) سورة آل عمران الآيتان ١١٣ و ١١٤ .

كلفنا نحن القيام بها فى عصرنا ، الحق أن هذا التعبير الموجز المعجز الذى يبدو مجموعة لكلمات عديدة يمثل الغاية التى بعث لتحقيقها الأنبياء و الرسل عليهم صلوات الله و سلامه ، و ليس ذلك تفسيراً و استنباطاً منا نحن فحسب ، بل هو الذى قال به العلماء الأعلام ، فقال الامام ابن تيمية (١) :

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر الذى أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين » .

و يقول القرطبى (٢) :

« إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كان واجباً فى الأمم المتقدمة ، وهو فائدة الرسالة و خلافة النبوة » .

و يقول العلامة سيف الدين الآمدى (٣) :

« ما من أمة إلا و قد أمرت بالمعروف كاتباع أنبيائهم و شرائعهم ، ونهت عن المنكر كنهيهم عن الالحاد و تكذيب أنبيائهم » .

و يقول الامام الرازى (٤) .

« الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله ، إن هذه الصفات الثلاث كانت حاصلة فى سائر الأمم » .

(١) الحسبة فى الاسلام : ٦٣ (مجموع رسائل ابن تيمية ، المطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٣هـ) .

(٢) الجامع الأحكام القرآن ٤ : ٤٧ (دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥٣)

(٣) الأحكام فى أصول الأحكام ١ : ٣٠٨ (مطبعة المعارف ، مصر ١٣٣٢هـ)

(٤) مفاتيح الغيب ٣ : ٢٧ (المطبعة العامرة ، مصر ١٣٠٨هـ) .

و يقول العلامة السيد رشيد رضا المصرى (١) .

« قد جرت سنة الأنبياء و المرسلين و السلف الصالحين على الدعوة إلى الخير و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و إن كان محفوفاً بالمكاره « والمخاوف ».

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر وظيفة الأمة المسلمة :

هذه التصريحات التى نقلناها لا تدع مجالا للشك فى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يزل فى كل عصر من العصور مهمة الرسل و أهمهم ، و للنهوض بنفس المهمة وجدت الأمة الاسلامية ، فلا يكفى - بحكم مكانتها وغاية وجودها - أن تعيش حياة صالحة تقية هى نفسها فحسب بل عليها أن تعمل لتوجيه العالم و قيادته وهدايته أيضاً ، فهى عابدة زاهدة كما هى رائدة و قائدة ، فعبادة الله تعالى و هداية خلقه وجهان لمهمتها . وإن إهمال واحد منهما سيجعلها يوم القيامة من المجرمين الخاسرين ، تدبر الآية الكريمة التى تقول :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله (٢) » .

لقبت الآية الكريمة الأمة المسلمة بخير أمة ، و وصفتها بأمرين : الأول أنها تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر و الثانى أنها تؤمن بالله عز وجل ، و الايمان بالله أن يخلص الانسان عبادة الله تعالى و يخضع لحاكميته ، و يطيعه فى كل مايأمر به عن طواعية و طيب نفس ، فالايمان عبارة عن يقين القلب وكمال الاتباع ، فسر العلامة الخازن الايمان بالله فى هذه الآية بقوله (٣) .

(١) تفسير المنار ٤ : ٣٢ (دار المنار ، مصر ١٣٦٥هـ) .
(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠
(٣) لباب التأويل فى معانى التنزيل ١ : ٣٣٩ .

« (و تؤمنون بالله) أى وتصدقون بالله و تخلصون له التوحيد و العبادة » .

دل ذلك على أن الأمة الاسلامية إنما لقبت بخير أمة لأنها ستكون خيراً للعالم المملوء بالشر و تهديه إلى الصراط المستقيم بجانب ، و تكون مطيعة لله تعالى إطاعة كاملة بجانب آخر ، و هذا العمل الثانى يحل الأمة الاسلامية مكانة مرموقة لا تبلغها أمة أخرى كما يوجد فيها شبهاً بالأنبياء ، و لا شك أن الأمة التى تشبه الأنبياء لايمكن أن تدانيها - فضلا عن أن تكون أفضل منها - أى أمة على وجه الأرض ، يقول العلامة الصاوى فى تفسير الآية السابقة (١) .

« هذه الأمة لها شبه بالأنبياء من حيث إنها مهتدية فى نفسها هادية لغيرها »

الحق أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الايمان بالله تعالى و طاعته هى الخصائص التى تمتاز بها « خير أمة » فان فقدت هذه الميزات سلبت ثوب عزها و عظمتها ، و لم يبق أى فرق بينها و بين غيرها من أمم العالم ، تلا عمر بن الخطاب الآية المذكورة فى حجة فقال (٢) :

« يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها »

و فسرها مجاهد رحمه الله فقال (٣) .

« كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف و تنهوا عن المنكر و تؤمنوا بالله » .

و يقول العلامة القرطبى (٤) .

(١) حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ١ : ١٥٣ .
(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن ٤ : ٢٨ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤ : ١٧٣ .
(٤) مفاتيح الغيب ٣ : ٢٧ .

« (تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر) مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك و اتصفوا به فاذا تركوا التغيير و تواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح و لحقهم اسم الذم و كان ذلك سبباً لهلاكهم ».

و بين الرازى هذه الحقيقة بتعبيره الفقهى فقال :

« إنه ثبت فى أصول الفقه أن ذكر الحكم مقروناً بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف ، فهاهنا حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة ثم ذكر عقيبة هذا الحكم هـذه الطاعات أعنى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الايمان ، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات ».

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من خصائص المؤمنين التى لا يمكن أن تفارقهم أبداً ، كلما تمثلت صورة مؤمن كانت هذه الصفة من صفاتها البارزة فلايمكن تصور المؤمن بدونها ، والوضع الذى يريد الله تعالى أن يرى المؤمنين فيه ان يوجد إلا إذا كانوا قائمين بوظيفة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، والمعيار المطلوب الايمان ليس أن يطهر الانسان نفسه من المعاصى ، و إنما الايمان الحقيقى هو الذى ينقذ البشرية المشرفة على الهلاك ، و يحدث فى القلب كراهية و تقززاً من الكفر و الشرك ، و القلب الذى لا يتألم و لا يتفطر إذا رأى العـالم حوله يتخبط فى الظلام و يتسكع فاعلم أنه فقد روحه و لبه و بشاشته .

« يتبع »

الفقه الإسلامى

بقلم

الحساب الفلكى فى إثبات دخول شهور العبادات والأعياد وخروجها

بقلم : سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة و الارشاد - الرياض

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على عبد الله و رسوله محمد . و على آله و أصحابه التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فقد كثر الكلام حول العمل بالحساب الفلكى فى دخول شهر رمضان وخروجه و تحديد الأعياد ، فرأيت إيضاح الحكم و بيانه لعامة الناس فى هذه البلاد و غيرها ليكونوا على بصيرة فى عبادتهم لربهم ، فأقول و بالله التوفيق :

إن الله سبحانه و تعالى علق بالهلال أحكاماً كثيرة كالصوم و الحج والأعياد و العدد و الايلاء وغيرها ، لأن الهلال أمر مشهود مرئى بالأبصار ، و من أصح المعلومات ما شوهد بالأبصار و أن رسول الله ﷺ جعل الحكم بالهلال معلقاً على الرؤية وحدها لأن الأمر الطبيعى الظاهر الذى يستطيعه عامة الناس ، فلا يحصل لبس على أحد فى أمر دينه ، كما قال ﷺ : « إنا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب الشهر هكذا و هكذا يعنى مرة تسعة و عشرين ومرة ثلاثين » و قال : لاتصوموا حتى تروا الهلال و لا تفطروا حتى تروه ، فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين و من هذا يتبين أن المعول عليه فى إثبات الصوم و الفطر و سائر الشهور هو الرؤية أو إكمال العدة ، و لا عبرة شرعاً بمجرد ولادة القمر فى إثبات الشهر

القمرى بدءاً و انتهاءاً باجماع أهل العلم المعتد بهم ما لم تثبت رؤيته شرعاً ، وهذا بالنسبة لتوقيت العبادات ، و من خالف فى ذلك من المعاصرين فمسبوق باجماع من قبله وقوله مردود لأنه لا كلام لأحد مع سنة رسول الله ﷺ . أما حساب سير الشمس و القمر ، فلا يعتبر فى هذا المقام لما يأتى :

(ألف) إن النبى ﷺ أمر بالصوم لرؤية الهلال والافطار لها فى قوله : صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته » و حصر ذلك فيها بقوله : « لا تصوموا حتى تروه ، و لا تفطروا حتى تروه » وأمر المسلمين إذا كان غيم ليلة الثلاثين أن يكملوا العدة و لم يأمر بالرجوع إلى علماء النجوم ، و لو كان قولهم هو الأصل وحده أوأصلا آخر مع الرؤية فى إثبات الشهر لبين ذلك ، فلما لم ينقل ذلك ، بل نقل ما يخالفه دل ذلك على أنه لا اعتبار شرعاً لما سوى الرؤية أو إكمال العدة ثلاثين فى إثبات الشهر و أن هذا شرع مستمر إلى يوم القيامة ، وما كان ربك نسياً . ودعوى أن الرؤية فى الحديث يراد بها العلم أوغلبة الظن بوجود الهلال أو إمكان رؤيته لاالتعبد بنفس الرؤية مردودة لأن الرؤية فى الحديث متعدية إلى مفعول واحد فكانت بصرية لا علمية ، و لأن الصحابة فهموا أنها رؤية بالعين ، و هم أعلم باللغة و مقاصد الشريعة من غيرهم .

و جرى العمل فى عهد النبى ﷺ و عهدهم على ذلك و لم يرجعوا إلى علماء النجوم فى التوقيت ، و لا يصح أيضاً أن يقال : إن النبى ﷺ حين قال : « فان غم عليكم فاقدروا له » أراد أمرنا بتقدير منازل القمر لتعلم بالحساب بدء الشهر و نهايته لأن هذه الرواية فسرتها رواية « فاقدروا له ثلاثين » و ما فى معناها ، و مع ذلك فالذين يدعون إلى توحيد أوائل الشهور يقولون بالاعتماد على حساب المنازل فى الصحو و الغيم و الحديث قيد القدر له بحالة الغيم .

(ب) إن تعلق إثبات الشهر القمرى بالرؤية يتفق مع مقاصد الشريعة السمحة لأن رؤية الهلال أمرها عام يتيسر لأكثر الناس من العامة و الخاصة فى الصحارى و البنيان بخلاف مالو علق الحكم بالحساب فانه يحصل به الحرج و يتنافى مع مقاصد الشريعة لأن أغلب الأمة لا يعرف الحساب ودعوى زوال وصف الأمية بعلم النجوم عن الأمة غير مسلمـــة ، و لو سلمت فذلك لا يغير حكم الله لأن التشريع عام للامة فى جميع الأزمنة

(ج) إن علماء الأمة فى صدر الاسلام قد أجمعوا على اعتبار الرؤية فى إثبات الشهور القمرية دون الحساب ، فلم يعرف أن أحداً منهم رجع إليه فى ذلك عند الغيم و نحوه ، أما عند الصحو فمن باب أولى

(د) تقدير المدة التى يمكن معها رؤية الهلال بعد غروب الشمس لو لا المانع من الأمور الاعتبارية الاجتهادية التى تختلف فيها أنظار أهل الحساب ، و كـــذا تقدير المانع ، فالاعتماد على ذلك فى توقيت العبادات لايحقق الوحدة المنشودة ، ولهذا جاء الشرع باعتبار الرؤية فقط دون الحساب ، رحمة للأمة وحسما لمادة الاختلاف ورداً لهم إلى أمر يعرفونه جميعاً أينما كانوا

هـذا و ينبغى الانتباه إلى أن اختلاف المطالع من المسائل التى حصل فيها الاختلاف بين أهل العلم ، و قد درستها هيئة كبار العلماء فى إحدى دوراتها السابقة و اتخذت قراراً بالأكثرية مضمونه : أن الأرجح قول من قال أن لكل أهل بلد رؤيته و عليهم أن يرجعوا إلى علمائهم فى ذلك عملا بما رواه مسلم فى صحيحه من حديث كريب عن ابن عباس و نصـه : « عن كريب أن أم الفضل بنت الحارث بعثتـه إلى معاوية فى الشام قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها و استهل على رمضان و أنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ، ثم قدمت المدينـــة فى آخر الشهر ، فسألنى

عبد الله بن عباس ، ثم ذكر الهلال ، فقال متى رأيتم الهلال فقلت رأيناه ليلة الجمعة ، فقال : أنت رأيته ، فقلت نعم و رآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال لكنا رأيناه ليلة السبت ، فلا نزال نصوم حتى نكمل الثلاثين أو نراه فقلت أولا تكتفى برؤية معاوية ، فقال لا هكذا أمرنا رسول الله ﷺ ، وشك يحيى بن يحيى فى نكتفى أو تكتفى . أ هـ .

فأما قول من قال إنه ينبغى أن يكون المعتبر رؤية هلال مكة خاصة . فلا أصل له و لا دليل عليه و يلزم منه أن لا يجب الصوم على من ثبتت رؤية الهلال عندهم من سكان جهات أخرى إذا لم ير الهلال بمكة .

و ختاماً أسأل الله أن يمن على المسلمين بالفقه فى دينه و العمل بكتابه وسنة نبيه و أن يعيذهم من مضلات الفتن فى أن يولى عليهم خيارهم إنه سميع قريب .

و ﷺ على نبينا محمد و آله و صحبه أجمعين .

دراسات وأبحاث

هاهم اليهود فى توراتهم

« أفتطمعون أن يؤمنوا لكم »

(الحلقة الأولى)

الأستاذ عبد العزيز غازى
الدوحة - قطر

أيطمع العرب و المسلمون أن يؤمن لهم اليهود أو يوفوا لهم بعقو ؟

و اليهود : شعب غلبت عليه شقوته و غروره و أنانيته منذ فسدت فطرته فاستكبر على خالقه و خلقه و انحرف عن هداية ربه ، فلا يتقيد بحق و لا ينتهى عن غى « كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ففريقاً كذبوا و فريقاً يقتلون » ؟

إن الذين يأملون فى صلاحهم أو إصلاحهم أو كسر الحواجز النفسية التى أضلتهم وعزلتهم يأملون فى سراب يستفتحون غير باب كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه و ما هو ببالغه ، و قد نبأنا الله من أخبارهم وحذرنا من غدرهم و الاطمئنان إليهم . قال تعالى : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم و قد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه و هم يعلمون » ؟ .

و كيف نثق بقوم يتعمدون الكذب على الله و يحرفون كلامه عن مواضعه ويزعمون غروراً و كبراً عن رب العالمين هو إله إسرائيل وحدهم اختصهم لنفسه و اجتباهم من بين خلقه و فضلهم بالحسب و النسب و الوعد الكذب على جميع عباده ، و سخر لهم ، بل ملكهم البشر و البقر و الشجر و المدر وكل ما فى الأرض فهو ملك لهم أصلا و إنما يحوزه الناس غصباً و سلباً أو متاعاً

إلى حين ؟ مثل هذا الشعب كيف يدخل معه فى عقد أو يؤتمن على عهد ، و هو لا يعترف « لأمى » أى غير يهودى بحق و لا بحرمة و صدق الله العظيم (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل و يقولون على الله الكذب و هم يعلمون) و تاريخهم القديم و حاضرهم الأثيم شاهد بكل ذلك و دليل عليه .

أمثلة من خيانات اليهود و نقضهم العهود

و هذه أمثلة نقدمها ، بل هم قدموها لنا تثبت من نصوص توراتهم أنهم شعب خيانة و غدر ، و لؤم و كبر ، نشأوا على ذلك ومردوا عليه وشهدوا بذلك على أنفسهم فى التوراة الموجودة اليوم التى كتبوها بأيديهم ، ثم قالوا هى من عند الله ، وقد جعلوا الخيانة والغدر فيها ديناً قيماً وعملا صالحاً من هدى النبيين و وصايا المرسلين .

١- خيانة الأمانة و سلب المصريين :

جاء فى سفر الخروج من التوراة فى الأصحاح الثالث والحادى عشر والثانى عشر أن موسى وصى بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر ألا يمضوا فارغين و أن يحتالوا لسلب المصريين وذلك بأن (يطلب كل رجل من صاحبه و كل امرأة من صاحبتها و جارتها و نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب و ثياباً يضعونها على بنيهم وبناتهم فيسلبون المصريين) أصح ٣ ، و فعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى : طلبوا من من المصريين أمتعة فضة و أمتعة ذهب و ثياباً و أعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين ، حتى أعاروهم فسلبوا المصريين أصح ١٣ ، هذا كلام التوراة بزعمهم و وصية موسى نبيهم وشهادتهم على أنفسهم ، وهذا دينهم ولا نريد أن نقول هنا إنه افتراء على الله - سبحانه - أن يكون أمر موسى بالخيانة أو أن يتكلم بهذا الكلام الفارغ فى مسامع بنى إسرائيل فان الله لا يأمر بالفحشاء .

و لا نريد أن نقول إنه افتراء على موسى الرسول الأمين ، كما وصفه القرآن الكريم ، و لا نريد أن نقول إنه دليل لمن يعقل على أن هذه التوراة محرفة و على أن اليهود يحرفون كلام الله ، كما قرر القرآن الكريم .

ولكنا نريد أن نقول لقومنا الطيبين أن اليهود الذين عبدوا الله بالبغى وتقربوا إليه بسلب المصريين و خيانتهم و الاحتيال عليهم فى الماضى ، كما أثبته التوراة التى كتبوها بأيديهم ، كيف يمكن المسلمين أن يطمئنوا إليهم أو يدخلوا معهم فى معاهدة و هم قد خدعوهم و شلحوهم بالأمس تقرباً إلى الله و طاعة لأمره كما زعموا ؟

٢- اختلاق الأسباب للاغارة و السلب و الابادة :

بل كيف يمكن المسلمين أو لأحد فى العالمين أن يطمئن إليهم أو يثق بعهدهم وهم فى التوراة يتواصون بالاثم و العدوان و اختلاق أسباب الغدر و الاغارة على الأرض وأوطان الآمنين من عباد الله ، كما تواصوا بسلب أموال المصريين و نهبهم عدواناً و قربانا .

جاء فى سفر التثنية من التوراة فى الاصحاح الثانى : قال الله لموسى «قد دفعت ليدك سيحون ملك حشبون وأرضه . و ابتدىء تملك الأرض و أثر عليهم حرباً ، كأن رسالة النبيين تملك الأرض و إثارة الحرب ! .

قال موسى : « فأرسلت إلى سيحون رسلا بكلام سلام قائلا أمر من أرضك لا أميل يميناً و لا شمالا إلى أن أعبر الأردن إلى الأرض التى أعطانا الرب إلهنا» فرفض سيحون ، وحق له أن يرفض فان سيرة هذا الشعب الباغى تحمله على عدم الثقة به ، و تسوغ له أن يرفض طلبه ، و لكن التوراة تتم قصة البغى و رمى الجيش ، فتقول : قال موسى « فدفعه الرب إلهنا أمامنا فضربناه و بنيه بحد السيف و جميع قومه ، وأخذنا كل مدنه و حرقنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال

لم نبق شارداً ، لكن البهائم نهبنا لأنفسنا » .

هذا هو الشعب المختار فى التوراة ، الذى يريد أن تثق به أو يراد أن تثق بعهده و ندخل فى عقده ، يزعم أن الله أمره أن يبتدىء بتملك الأرض ويثير على أهلها حرباً و لا يبقى منهم نسمة و لا شارداً .

٣- إما إبادة أو استعباد .

بل كيف نؤمن لهؤلاء الناس أو نطمع فى صلحهم لنا و هم تأمرهم توراتهم أن يستعبدونا إن سالمناهم ، أويبدونا إن حاربناهم ، و استمع لما أوحى إلى موسى فى التوراة جاء فى الأصحاح العشرين من سفر التثنية أيضاً .

حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها إلى الصلح ، فان أجابتك و فتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير و يستعبد لك ، وإن لم تسالمك ودفعها الرب إلهنا إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، و أما النساء و الأطفال والبهائم ، وكل ما فى المدينة فتغنمها ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً ، أما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهنا نصيباً ، فلا تستبق منهم نسمة بل تحرمها تحريماً .

و ذلك ما فعله مناحم بيجن فى قرية ديرياسين ، و كان فى قمة التدين عند أهل التوراة و الانجيل ، لما قتل الرجال و النساء و الأطفال الأجنة فى بطون الأمهات باسم الله و أمر التوراة و فعل ما لم يفعله هولاكو و جنكيز خان و هو الذى نطمع فى عهده و أمانه و عقده .

٤- حرام عليهم الوفاء و العهد :

بل كيف نطمع فى صلحهم و عهدهم وهو محرم عليهم فى دينهم أن يصالحونا أو يعاهدونا أو يشفقوا علينا و استمع لما أوحى إليهم فى توراتهم : جاء فى سفر

الخروج أصحاح ٢٤ « قال الرب لموسى احفظ ما أنا موصيك اليوم احذر من أن تقطع أحداً مع سكان الأرض التى أنت آت إليها لتمتلكها لئلا يصيروا فخاف وسطك بل تهدمون مذابحهم و تكسرون سواريهم ، احذر من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض » .

إن المحنة التى نعيشها نحن المسلمين و العرب اليوم سببها أننا لا نعرف عدونا و لا نفقه قضيتنا و نمضى فى أمورنا على غير هدى أو علم أو كتاب منير . على حين تمضى اليهود على خطة وضعها لهم حكماؤهم و اتخذوها على باطلها ديناً لهم وهم حين يرفضون آن يفاوضوا منظمة التحرير أو شعب فلسطين ، أو يرفضون التخلى عن إنشاء المستوطنات فى غزة أو الضفة الغربية ، أو يرفضون الانسحاب من شبر وطئوه و دنسوه ، أويستبقون أهل فلسطين فى مساكنهم فترة ثم يطردونهم ويحلونهم بعد حين ، هم فى كل ذلك ينفذون أوامر التوراة و ما رسم لهم فيها الكهنة من قديم، واستمع لما تأمرهم به أحلامهم و إيمانهم و بئسما يأمرهم به إيمانهم إن كانوا مؤمنين .

٥- طرد السكان بالتدريج و الاستيلاء على أملاكهم :

جاء فى سفر الخروج أيضاً الأصحاح ٣٣ :

من قول الله لموسى « ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك ، لا تسجد لآلهتهم و لا تعمل كأعمالهم بل تبيدهم وتكسر أنصابهم ، لا تطردهم فى سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة ، قليلا قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تثمر و تملك الأرض ، و اجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين و من البرية إلى النهر فانى أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك ، لا تقطع معهم ولامع آلهتهم عهداً و لا يسكنون فى أرضك .

إن عملية التوسع عند إسرائيل فريضة من صميم دينهم وتعاليم توراتهم ومخطط انبيائهم و حكائهم لا يرضون بها بدلا و لا يبغون عنها حولا ، و هم لا يدعون أهل فلسطين الحقيقيين يعيشون معهم إلا ريثما يقدرون على طردهم والتخلص منهم بعد ما يقدرون على استثمار الأرض والاستغناء عنهم فهم لايثقون عليهم حتى اليوم إلا لأنهم أقل أجرة و أوفر كلفة ، و لأن أبناءهم مشتغلون بحمل السلاح وشئون الحرب التى لايؤتمن عليها العرب ، و فى أول فرصة تلوح سينقلبون إليهم ليطردوهم و يخرجوهم ويشردوا بهم من خلفهم كما فعلوا بالأمس ، فالذين يطمعون منا فى سلم دائم أو حدود آمنة أو حل ترضى به إسرائيل لم يقرأوا التوراة و لم يعرفوا حقية هذا الشعب و لا ماذا يؤمن به و لا ماذا ينطوى عليه .

لا حدود لدولة إسرائيل

إنه شعب لن يرضى منا بما دون استعبادنا و الاستيلاء على أوطاننا و لن يكفيه منها ما بين الفرات إلى النيل كما هو مرسوم على كنيسة وفى خريطته ، و لكنه بغروره وصلفه يريد أن يملك الأرض ويسود العالم و هو لا يعترف لدولته بحدود ولا يقبل أن تحد بحدود ، ومن عهد ليس ببعيد أذاعت وكالات الأنباء أن مندوب الاسوشيتدبريس سأل أحد الجنود اليهود فى خليج العقبة ، هى الحدود التى تتصورها لاسرائيل لتكون حدوداً آمنة فأجاب الجندى بكل ثقة و صلف ووقاحة حيث أضع قدمى ، وهو فى هذا يتكلم بمنطق قومه و تعاليم توراته ، فقد جاء فى سفر يشوع الأصحاح الأول : «كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى» .

والذين يطمعون فى أن يتزحزح اليهود عن شبر أخذوه يعيشون فى أوهامهم و أحلامهم و جهلهم و أمانيهم ، و تعثر هذه المفاوضات التى اختلفت فيها الآراء والظنون كان شيئاً منتظراً طبيعياً ، فان اليهود لم يتغير لهم طبع ، و لم يقصر لهم

طمع ، بل زادهم ضراوة و طمعاً و صلفاً و تعنتا إكباب العرب على السلام و حرصهم على الدنيا و العافية و الحياة أى حياة .

شعب صلب الرقبة

إن هذا الشعب كما وصف نفسه ، وكما وصفته التوراة و وصفه القرآن الكريم شعب صلب الرقبة كما جاء فى سفر الخروج الاصحاح ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ :

١- قال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب ، و إذا هو شعب صلب الرقبة ٣٣ .

٢- وقال الرب لموسى : اذهب اصعد أنت و الشعب ، فانى لا أصعد فى وسطك لأنك شعب صلب الرقبة ٣٣ .

٣- و كان الرب قد قال لموسى : قل لبنى إسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة ٣٤

٤- فليس السيد فى وسطنا فانه شعب صلب الرقبة .

و كما جاء فى سفر التثنية الأصحاح التاسع و الحادى و الثلاثين و الثانى و الثلاثين :

١- جبل أعوج ملتو آلرب تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم إنهم جبل متقلب و لا أمانة فيهم إنهم أمة عديمة الرأى و لا بصيرة فيهم ، أصح ٣٢ .

٢- أنا عارف تمردكم و رقابكم ، أصح ٣١

٣- اعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب هذه الأرض تتملكها لأنك شعب صلب الرقبة و لكن من أجل أثم هذه الشعوب أعطيك هذه الأرض .

٤- قال الرب لموسى قد فسد شعبك رأيت هذا الشعب فاذا هو شعب صلب الرقبة أتركنى فأبيدهم و امحو اسمهم .

٥- حين قال الرب اصعدوا فتملكوا الأرض التى أعطيتكم عصيتم قال موسى يا رب لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب و اثمه و خطيئته .

هذا الشعب الغليظ القلب ، الصلب الرقبة ، المغرور المستكبر كيف نطمع فى أن نتعامل معـــه أو أن يتخلى عن مطامعه و هو لا ينتهى عن غروره و كبره إلا بقصم رقبته و سفع ناصيته و حطم أنفه .

إن هذا الشعب لا ينفع فى تقويمه و تأديبه إلا السيف و العصا و ضرب الرقاب ، فانه شعب غدر وخيانة و لؤم و خسة يعتبر الاحتيال و الغـــدر بطولة و حذقاً و شرفاً و امتيازاً ، و قد تأصل ذلك فيهم بحيث لو لم يجدوا من يعدون عليه من غيرهم عدا بعضهم على بعض حتى استحقوا لعنة الله و مقته ، قال تعالى : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم و جعلنا قلوبهم قاسية » وسنسوق بعض الأمثلة مما فعلوا بأنفسهم و إخوتهم و مما غدروا بالناس أيضاً مما سجلوه على أنفسهم فى هذه التوراة و الكتاب المقدس بمخازيهم :

إسرائيل يخون خاله و ينقض عهده :

جاء فى سفر التكوين أصح ٣٠ أن يعقوب اتفق مع خاله لابان وصهره (أبى زوجتيه ليئة و راحيل) على أن يرعى يعقوب غنمـــه فى مقابل أن تكون ليعقوب الأغنام التى تولد مخططة أو رقطاء و أن تكون للابان الألوان الأخرى و أشهدوا الله على هذا الاتفاق . قالت التوراة فى سفر التكوين ٣٠ « فأخذ يعقوب لنفسه قضباناً خضراً من لبنى و لوز و قشر فيها خطوطاً بيضاء و أوقف القضبان التى قشرها فى الأجران و فى مساقى الماء حيث كانت الغنم تجىء لتشرب لتتوحم عنـــدها فتوحمت الغنم عند القضبان و ولدت مخططات و رقطاً وبلقاً وأفرز يعقوب الخرفان و جعل له قطعاناً وحده و لم يجعلها مع غنم لابان » .

« و حدث أن يعقوب كلما توحمت الغنم القوية وضع أمامها القضبان تتوحم بينها ، و حين استضعف الغنم لم يضعها فصارت الضعيفة للابان و القوية ليعقوب ،

فاتسع الرجل كثيراً جداً ، و كان له غنم كثير وجوار و عبيد وجمال وحمير » .

هذا هو إسرائيل أو يعقوب الذى انبثق عنه شعب الله المختار و هذه همته ورسالته وأمانته وعمله ، كما ينعتونه فى التوراة يحتال على خاله و ولى نعمته وصاحب الغنم التى يشتغل برعايتها فيخونه بهذه الطريقة العجيبة لتلد الغنم الأشكال التى تكون له بمقتضى اتفاقـــه مع خاله ، و هو أسلوب لا يعرف لغير اليهود يحسبونه عبقرية (وشطارة) و هو خسة و نذالة و يحسبونه هينا و هو عند الله عظيم .

و إذا كان هـــذا مدى الوفاء بالعهد فيما بينهم ، فكيف يكون نقضهم له مع غيرهم ، وكل غير عدو عندهم على نحو ما فعل أبناء إسرائيل على مرأى منه ومسمع بأهل فلسطين .

بنو إسرائيل ينقضون عهدهم و يقتلون أصهارهم :

جاء فى سفر التكوين أصح ٣٤ :

أن شكيم بن حمور الحوى أحب دنيه بنت يعقوب و اضطجع معها و رغب فى زواجها فوافق أبوها واخوتها بشرط أن يختتن شكيم و أبوه حمور رئيس البلد و أهل البلد جميعاً مثل اليهود و قبل شكيم و أبوه و أهل البلد الشرط و اختتنوا جميعاً « فحدث فى اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن أخذ شمعون و لاوى أخوا دنية سيفيهما وأتيا على المدينة بأمن و قتلا منها كل ذكر ، وقتلا حمور و شكيم ابنه و أخذوا دنية » .

ثم أتى بنو يعقوب على القتلى و نهبوا المدينـــة ، غنمهم و بقرهم و حميرهم و سبوا و نهبوا كل ثروتهم و كل أطفالهم ونسائهم وكل ما فى البيوت ، هذا نص التوراة .

فما كان موقف إسرائيل (يعقوب) من هذه الجريمة النكراء التى ارتكبها أبناؤه

وقد أخذوا البرىء بالمسىء واستحلوا قتل الرجال بعد ما اتفقوا معهم على مصاهرتهم و تزويج ولدهم لابنتهم وما لهؤلاء البؤساء من ذنب إلا أنهم وثقوا بعهد إسرائيل و بنى إسرائيل ، فقتلوا فيهم الرجال و سبوا النساء و الأطفال و نهبوا أموالهم كلها فى الدور والحقول بجريمة فرد زنا بابنتهم ثم زوجوها له ، بشروطهم ، ففى أى شريعة أو غابة يمكن أن يسمع الانسان بمثل هذا ؟ يجرم فرد فتقتل أمة ! ؟

و لقد يتساءل سائل فما كان موقف يعقوب و هو الذى زنا ابنه راوبين بزوجته أى زوجة يعقوب ، فلم يزد على أن قال فيه « أنت بكرى وقوتى ، فضل الرفعة و العز فاتراً كالماء ، لا تتفضل لأنك صعدت على فراش أبيك » .

و الجواب ما سجلته التوراة فى هذا السفر سفر التكوين ٣٤ :

« قال لشمعون و لاوى كدرتمانى بتكريهكما إياى عند سكان الأرض الكنعانيين و الفرزيين و إنا نفر قليل فيجتمعون على و يضربونى فأبيد » .

كل ما أسفه و أقلقه أنه صار مكروهاً عند سكان الأرض عرضة لانتقامهم ، أما نقض العهد و عدم الوفاء ، و انتقام الله للابرياء و قتل الرجال و سبى النساء والأطفال بعد ترميلهن وجيعتهم وتيتيمهم و نهب كل ما كان لهم ، فهذا شئ لا يقلق له بالا و لا يؤرق له جفنا ، و متى كان لمثل هؤلاء ضمير يتألم و هم يقولون « ليس علينا فى الأميين سبيل و يقولون على الله الكذب و هم يعلمون » .

أما عقوبة هذه الجريمة فى التوراة فخمسون من الفضة تعطى لأبى البنت و بتزويجها الزانى ، و تكون زوجة له إلى الأبد ، و لكن هذا إذا كان الزانى من إسرائيل ، أما غير بنى إسرائيل « فأولئك ما على قتلهم و نهبهم هم وقومهم من سبيل » .

يعقوب يسلب أخاه بكوريته و أباه بركته :

من أعجب وأقبح ما تضمنته التوراة وكشفت به عن أنانية اليهود وما نسبته ليعقوب أنه استغل جوع أخيه « عيسو » و إعيائه و حاجته الشديدة للطعام ليسلب منه بكوريته أى حقه فى التقديم عليه و الأولوية فى الاحترام و الحقوق لأنه ولد قبله (فعيسو) بكر أبيه إسحاق ، فقد جاء فى سفر التكوين أصح ٢٥ .

« وطبخ يعقوب طبيخاً ، فأتى عيسو من الحقل ، و هو قد أعيا فقال عيسو ليعقوب أطعمنى من هذا الأحمر لأنى قد أعييت .

فقال يعقوب : بعنى اليوم بكوريتك ، فقال عيسو ها أنا ماض إلى الموت ، فلماذا لى بكورية ؟ فقال يعقوب : احلف لى اليوم فحلف له ، فباع بكوريته ليعقوب فأعطى يعقوب عيسو خبزاً و طبيخ عدس فأكل و شرب و قام » .

« فاحتقر عيسو البكورية » .

فهل سمع الناس بمثل هذا ؟ إن الانسان العادى ليدعو الغريب إلى طعامه و شرابه و يعتبر قبوله فضلا و يقول له « تفضل » فكيف بأخيه و شقيقه لأمه و أبيه الجائع المجهود الذى أعيا يسأله أن يطعمه فيضن عليه « و طعامه عدس و خبز » و يأبى أن يطعمه إلا إذا تنازل له عنه عن بكوريته على طريقة اليهود استغلال المضطر بالربا و الكفر .

و أعجب من هذا و أغرب أن يلام عيسو الجائع المضطر و يقول كاتب التوراة عنه إنه « احتقر بكوريته » وهو لا خيار له مع الجوع ولا يلام يعقوب الذى أبى أن يطعم أخاه إلا إذا تنازل له عنها ولكن لا عجب ، فذلك منطق اليهود يكذب إبراهيم و يعاقب فرعون و يكذب إسحاق و يعاقب أبيمالك و يجرم بنو إسرائيل و يعاقب غيرهم ، ذلك دينهم و ميزتهم و خلقهم من قديم ، فانهم أهل

أهل بغى و بهت و ادعاء عريض .

يعقوب يسلب أباه بركته بكذبه و خديعته و مساعدة أمه :

جاء فى سفر التكوين ق ٢٧ :

« إن إسحاق لما شاخ وكلت عيناه طلب من ابنه يسوع أن يطعمه من صيد يده ليباركه أمام الرب قبل وفاته و سمعت أمه (رفقة) هذا القول فاتفقت مع ابنها يعقوب ، وكان أحب إليها من أخيه عيسو أن تضع له طعاماً يحبه أبوه ويقدمه إليه ليأكل منه و ليباركه هو بدل أخيه ، فقال لها يعقوب : إن أخى رجل أشعر و أنا أملس و أخشى أن يجسنى أبى فيكشف حيلتى و تحل على اللعنة لا البركة » .

فقالت له : « إن لعنتك على » وأخذت ثياب أخيه عيسو ابنها الأكبر الفاخرة و ألبستها يعقوب وألبست يديه وملاسة عنقه جلود المعزى ، وأعطته الطعام وذهب به إلى أبيه » .

فقال له : من أنت يا ابنى ؟

فقال يعقوب : « إنا عيسو بكرك كل من صيدى لتباركنى » ،

فقال إسحاق : ما هذا أسرعت يا بنى ؟

فقال يعقوب : « إن الرب إلهك يسر لى » .

فقال إسحاق ليعقوب : تقدم لأجسك يا بنى أأنت عيسو أم لا ، فتقدم يعقوب فجسه فقال : الصوت صوت يعقوب ، و لكن اليدين يدا عيسو » .

فقال إسحاق : أأنت هو ابنى عيسو ؟

فقال يعقوب : أنا هو « عيسو » .

فقال : قدم لى لآكل من صيد ابنى حتى تباركك نفسى .

فقدم له يعقوب فأكل و أحضر خمراً له فشرب .

فقال له إسحاق أبوه : تقدم و قبلنى فقبله يعقوب .

فقال إسحاق : « رائحة ابنى كرائحة حقل باركه الرب فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض و كثرة حنطة و خمر ليستعبد لك شعوب و تسجد لك قبائل ، كن سيداً لأخوتك و ليسجد لك بنو أمك ليكن لاعنوك ملعونين و مباركوك مباركين .

عيسو و إسحاق :

و حضر عيسو و قدم أطعمته من صيده لأبيه وفوجئ بما صنع أخوه وأمه فصرخ و ثار فقال له إسحاق أبوه قد جاء أخوك بمكر و أخذ بركتك ، فقال : ألا إن اسمه دعى يعقوب فقد تعقبنى الآن مرتين أخذ بكورتى و هو الآن قد أخذ بركتى ثم قال لأبيه أما لى بركة ؟

فقال إسحاق : لعيسو إنى قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً و عضدته بحنطة و خمر فماذا أصنع لك يا بنى ؟

فقال عيسو لأبيه : « ألك بركة واحدة ؟ باركنى أنا أيضاً يا أبى » وبكى !

فقال إسحاق : « هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك و بلا ندى السماء من فوق و بسيفك تعيش و لأخيك تستعبد » .

لم هذا كله ؟ أما كانت دعوة صالحة بالهداية و التوفيق لخيرى الدنيا والآخرة تكون بركة كافية تسعهما و تسعدهما ؟

لابد من الأرض ، و دسمها و خمرها و حنطتها و استعباد أهلها لتكون البركة قبحها الله فى بركة

« يتبع »

إنها لكبيرة :
المسكرات ، مضارها و نتائجها !
— ٣ —

الأستاذ سعيد بن عبد الله بن سيف الحاتمى

المرحلة الأخيرة فى تحريم الخمر :

بعد أن استتب الأمر للمسلمين و خاصة بعد غزوة أحد كان المسلمون يدعون ربهم و على رأسهم عمر بن الخطاب . كانوا يقولون : اللهم بين لنا بياناً شافياً فى الخمر ، وإذا هم فى دعائهم هذا نزلت الآية الكريمة القاطعة الناهية لتخلص المسلمين من رواسب الجاهلية تنهاهم هـذه الآية عن شرب الخمر بأسلوب ربانى قوى عميق يقول الحق تبارك و تعالى فى محكم كتابه :

« يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر و الميسر و الأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العـداوة و البغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله و عن الصلاة فهل أنتم منتهون » (آية ٩٠-٩١ من سورة المائدة ..) و بعد نزول هذه الآية دعى عمر بن الخطاب فقرأت عليه فقال : انتهينا . انتهينا .

و يروى أنه قال : أقرنت بالميسر و الأنصاب و الأزلام ؟ بعد لك سخطاً .

و لما سمع المسلمون الذين كانوا يشربون الخمر هذا الكلام : يا أيها القوم إن الخمر قد حرمت ، فما أن سمعوا ذلك إلا أن قاموا بتحطيم الكؤوس التى كانت فى أيديهم ومع الخمر كل من كانت فيه جرعة من الخمر والخمر التى كانت فى أوانى مختلفة

أريقت على الأرض .

روى عن ابن عبـاس أنه قال : إنما نزل تحريم الخمر فى قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا و ثملوا و اعتدى بعضهم على بعض ، فلما صحوا جعل يرى الرجل منهم الأثر بوجهه و لحيته ، فيقول : صنع بى أخى فلان هذا لو كان رؤوفاً بى و رحيماً ما صنع هذا ، و قد وقعت بينهم ضغائن فأنزل الله تعالى هذه الآية : « إنما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان » .

فقال ناس : هى رجس و هى فى بطن فلان كخمره مثلا ، و قد قتل يوم أحد و فى بطن فلان ، و قد قتل يوم بدر فأنزل الله : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا » (آية ٩٣ من سورة المائدة) .

يا عباد الله بعد هذا كله ماذا تريدون ! ؟ دعوا عنكم المجادلة الجوفاء و أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وأطيعوا الرسول فيما بينه لكم و لا تخالفوا لأن عاقبة المخالفة وخيمة ، فقد حذركم رب العزة فى محكم كتابه بقوله : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (آية ٦٣ من سورة النور) .

ألم يتدبر الواحد منا عن العواقب الدنيوية فى الادمان ، أن الخمر يذهب العقل الواعى ، فلا يمتنع الشارب عادة عن الشر و الوقوع فيه لأن العقل وهو سكران قد تستر عنه لا يعى الكثير مما يعمل ، و كم من بيت هدم ، وكم من أموال بددت بسبب شرب الخمر .

كثيراً ما يحذر القرار المؤمنين كيد الشيطان ، ففى آيات تحريم الخمر مثلا نجد القرآن الكريم يحذرنا عن كيده ويكشف لنا هدفه ألا وهو إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين وصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، قد يقول قائل كيف يوقع الشيطان العداوة بين المسلمين ؟ أنظر يا هذا إلى تصرف شارب الخمر يكفيك رداً على سؤالك

هذا ، إن شارب الخمر يتصرف كمن فقد وعيه فى بعض الأحيان ، وقل أن يتصرف فاقد الوعى إلا فى ظروف لا تحمد عقباه .

إننا يا إخوة فى ظل الايمان نريد أن نعيش فى وئام تام ولا نريد أن تكون هنالك حزازات أوشئ من هذا القبيل اتباعاً لأمر الصادق المصدوق حيث كان يقول لمن يبلغه شيئاً عن بعض الناس ،

« . . . لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئاً ، فانى أحب أن أخرج إليكم و أنا سليم الصدر .

يعرف كل مسلم أن الصلاة هى من أركان الاسلام بعد الشهادة طبعاً ، و هو الركن الأساسى و الركين من تلكم الأركان ، وقد قيل لنا عدم الاقتراب من الصلاة إذا كان الواحد منا فى حالة الغيبوبة بالنسبة إلى الخمر ، حتى يعرف ما يقوله ، وقيل لنا أن نتطهر من كل رجس و نجس قبل الصلاة ، يجب علينا أن نتطهر من كل الأرجاس بدنية كانت أو عقلية ، و عليه يجب أن يكون المصلى واعياً وعياً كاملا لا تشغله أمور أخرى عن الصلاة و على هذا الأساس يقال إذا حضر العشاء بفتح العين و وجب العشاء بكسر العين ، و فى الوقت سعة يقدم العشاء بفتح العين على العشاء يعتبر الاسلام الصلاة مناجاة بين العبد وربه إن لم تكن ترى الله فان الله يراك ، كيف يكون تصرف الواحد منا إذا طلب منه المثول بين يدى رئيس دنيوى كمدير أو وكيل وزارة مثلا ، هل يذهب إليه و هو سكران أو يذهب إليه فى حالة صحو تام ؟ ؟ فهل يليق له إذا أراد أن يتمثل بين يدى الحق تبارك و تعالى و هو فى حالة الغيبوبة لسبب السكر ؟ .

يا إخوة على درب العقيدة إذا قيل لشخص ما أن للعمل الفلانى ربحاً وخسارة بيد أن خسارته أكثر من نفعه ، وبعد هذا نراه يصر على اتخاذ ذلك العمل والقيام

به كيف نعتبره ؟ مما لا شك فيه أننا نبدأ نشك فى صحة عقله ، و ربما نطالب بارساله إلى عيادة نفسية لاجراء الفحوصات اللازمة و نقول أنه أصابه شئ فى عقله فلماذا لا نرسل شارب الخمر إلى مثل هذه العيادات إذاً ؟ هل نحن كذلك فقدنا شيئاً من توازننا العقلى ألم نسمع قول الحق تبارك و تعالى حين قال فى محكم كتابه « قل فيهما اثم كبير و منافع للناس و اثمهما أكبر من نفعهما » فاعتبروا يا أولى الأبصار و حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

نقرأ فى الانجيل شيئاً كثيراً عن كيد الشيطان فاقرأوا معى مثل الفقرات الآتية من سفر التكوين الأصحاح الثالث (١ : ١٠) .

و كانت الحية أجمل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الاله فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ، فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل ، أما ثمر الشجرة التى وسط الجنة ، فقال الله لا تأكلا منه و لا تمساه لئلا تموتا ، فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما و تكونان كالله عارفين الخير و الشر ، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وايضاً بهجة للعيون و أن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت و أعطت رجلها أيضاً معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين و صنعا لأنفسهما مآزراً ، و إذا عدنا إلى القرآن الكريم فنجد آيات و آيات تحذرنا من كيد الشيطان و تقول لنا إن كيد الشيطان عظيم وإن الشيطان للانسان عدو مبين « فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو » (آية ٣٦ من البقرة) .

قل لى بالله عليك إذا قلت لى أن امتنع عن شئ ماذا تتوقع من أن أعمل . أمر رسول الله ﷺ المؤمنين أن يكبوا كل الخمر التى كانت فى حوزتهم ،

فقد أتى بعض الصحابة إلى رسول الله ﷺ و قالوا له يا رسوك الله لدينا خمر لبعض اليتامى ، فماذا نعمل ؟ ، أمرهم أن تكب كل الخمر بغض النظر عن مالكها ولو لم تكن الخمر حراماً لما أمر الصادق المصدق المؤمنين بسكب كل الخمر حتى تلك التى كانت لليتامى، لو لم يكن الرسول صلوات ربى وسلامه عليه يعلم علم اليقين أن الخمر حرام لما نهى المسلمين من تعاطيها و التعامل بها .

ولو لم يكن الرسول يعرف أن الخمر حرام لما أمر بتطبيق الحدود على شارب الخمر بجلده .

قد أمر القرآن المسلمين أن يجتنبوا الخمر ، هذه العبارة هى أقوى من عبارة النهى لأن الاجتناب يعنى عدم الاقتراب من الشئ الذى قيل للشخص أن يجتنبه و لا يجتنب الشخص شيئاً إلا إذا كان ذلك الشئ خبيثاً و رجساً وخطراً.

ويعنى كل ما تقدم من أن الصادق المصدوق قام بتطبيق تعاليم الاسلام بحذافيرها فأعماله وأقواله تدل كل الدلالة على أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

« يتبع »

إلى الله أشكو

بقلم الشاعر عبد المؤمن

ألا رحمة يا معلن الحدثان ... بقلبى فقد أوفى على الذوبان

أيعدو على الاسلام صبيان عفلق ... و لم يتفجر بالدم الثقلان

وأين إباء الشام . . هل مات فانحنت ... على مسمع الدنيا لكل هوان !

و هل فقدت أحرار جلق بأسها ... فساق إليها الخزى كل مهان !

و هل هزم الايمان فى الأرض كلها ... فليس لدين الله أى مكان !

و كيف تخون السام عهد محمد ... و لولاه لم يحفل بها الملوان !

ويا ناعى الأحباب من إخوة الهدى ... شللت بهذا النعى حر بيانى !

أغيل (١) حماة تستباح شبوله ... فتلقى منايا بغير طعان !

وتسبح (شهباء) العروبة بالدماء ... و لما تذع أنباءها شفتان !

و يعلنها حمراء ماحقة على ... الحنيفية البيضاء كل جبان !

و تغدو رياض الشام سجناً لأهلها ... يشل به الارهاب كل لسان !

وتشكو غيابات المطابق (٢) ضيقها ... بكل أبى الطبع غير مدان !

يساق إليها كل فجر أولو التقى ... من القائمين الليل بالفرقان !

تساوى لدى جلادها الشيخ والفتى ... ولم يترفق سوطه بحصان (٣) !

و قد أحدقت بالجانبين من الحمى ... قذائف لم ترصد لخوض عوان !

بذلنا لها الأكباد والمال و المنى ... لدفع عدو أو إخافة جانى

فآلت إلى أيد ترى فى زوالنا ... لاطفاء نور الله خير ضمان

(١) الغيل : خدر الأسد (٢) المطابق : هى السجون الانفرادية

(٣) الحصان : المرأة المحصنة العفيفة

فتأتلى كيداً لدين محمد ... لتروى غلا شبه (الحمدانى) (١)
وها هى ذى تصلى اللظى كل مؤمن ... أشار إلى حق و لو ببنان
.. ويدعوننا الخوان . حتى كأننا ... منحنا حصون الشأم جند (ديان)
أون خزايا غدرة (التل) (٢) لم يزل ... تلاحقنا باللعن كل أوان !
فيا بؤس إعلام تحذر ربه ... إلى كذب لم تبله (٣) أذنان !
يسمى كرام الخيل أتناً سفاهة ... و ينعت بالتكريم كل أتان (٤)
.. و وا حزنا للشأم تشكل أسدها ... و لما نشيعهم بنظرة حانى
فأين ذوو القربى و مدعياتهم ... و ما ذوقوه من طريف معانى
أصموا فلا سمع لديهم ، أم ارتضوا ... بما تصطلى فيحاؤهم و تعانى !
إلى الله أشكو بطء قومى عن العلا ... و سبقهمو فى حومة الشنآن (٥)
تخلوا عن الحق الذى شاد مجدهم ... و لاذوا بأشتات من الهذيان
فلا ربهم أرضوا ، وفى هديه العلا ... و لا ظفروا من دهرهم بأمان
وطاشوا ، فما إن يبصرون طريقهم ... و قد عاث فيهم كل أخرق شانى
يساوم سراق الشعوب عليهم ... كأنهمو فى السوق ثلة (٦) ضان
فهذا لذئب الغرب أشهى فريسة ... و ذاك لدب الشرق أطوع عانى
و ليس لهذا أو لذاك ، وإن صحا ... بعصيان ما يملى عليه يدان
و هيهات يحظى بالخلاص مقيد ... (وقد حيل بين العير (٧) والنزوان
و أقبلت الأرزاء تترى بزيغنا ... مثالث ما إن تنقضى و مثانى
و ما نكبات اليوم إلا حصائد ... لما غرس الجانون فى الجولان
و إن لم تثب للرشد فلننتظر غداً ... ضروب عقاب لم تجل بجنان

(١) هو الحسين بن حمدان الذى ينسب إليه مصحف النصيرية .
(٢) هو تل الزعتر (٣) بلا الشئ : جربه (٤) الأتن : جمع أتان وهى الحمارة
(٥) الشنآن : البغض (٦) الثلة : الجماعة (٧) العير - بفتح العين - الحمار

تناقض تحار فيه العيون . . .
و تطابق يسر به المؤمنون

[هذا الكتاب فى الحقيقة مجموعة لخمسة مقالات لفقيد الدعوة و الفكر الاسلامى الأستاذ محمد الحسنى (رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامى) تفضل بجمعها وترتيبها سماحة أستاذنا الكبير مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى عقيب حادث وفاته المفاجىء ، إعترافاً و تقديراً بخدمات و أعمال المرحوم ، و عرضاً للفكر الاسلامى النقى الذى كان يتبناه فيما كان يدبجه بقلمه العملاق و يراعه المؤمن من كتابات ثائرة و مقالات ضافية هادفة ، مع تقديم نبذة من حياته ، و مختارات من كلمات رثاء و عزاء تلقاها من مختلف رجالات الفكر و الدعوة أو نشرتها الصحف الاسلامية بعد حادث وفاته .

و لكى نقوم بتعريف هذا الكتاب الذى لا يقع إلا فى ٩٠ صفحة فقط و لكنه كبير فى معناه ومحتواه ، يسعدنا أن ننشر ما تكرم به سماحة المرتب من كلمة تقديم لهذا الكتاب ، فانها تلقى ضوءاً لامعاً على ما كان يتمتع به صديقنا المرحوم من فكر رفيع وعقل مستير و قلب كبير متحرق على مايدور اليوم فى العالم من أوضاع وأحوال وظروف ، عسى أن يجد فيه كتابنا المعاصرون أسلوباً طريفاً لكتاباتهم ، ودعاتنا الخاضرون أسوة لأعمالهم و نشاطاتهم] .

سعيد الأعظمى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :

أما بعد ! فنحلى هذا الكتيب بأربعة مقالات أخيرة دبجها يراع الكاتب الاسلامى النابغة محمد الحسنى رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامى » ومؤلف كتاب « الاسلام

الممتحن ، الذى استأثرت به رحمة الله فى الشهر الماضى (١٨ من رجب ١٣٩٩هـ المصادف ١٣/ يونيو ١٩٧٩م) و هو فى الرابعة و الأربعين من سنه ، وفى أوج نشاطه الدعوى وتدفقه الانشائى ، و حماسه الدينى ، و على قمة شهرته - فى أوساط الدعوة ، و الفكرة الاسلامية - التى نالها من افتتاحياته القوية الملتهبة فى مجلة «البعث الاسلامى» وكتابه المدوى «الاسلام الممتحن» ترنو إليه العيون ، وتصبو إليه النفوس فى مجال الدعوة و الفكرة الاسلامية ، فكان جندياً قد سقط شهيداً فى المعركة الحامية اليوم فى العالم الاسلامى ، معركة النضال بين الحق و الباطل ، و الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية ، و الكفاح بين الايمان و المادية ، بأوسع معانيهما .

مقاله الأول ظهر فى العدد العاشر الممتاز من مجلة «البعث الاسلامى» الصادر فى رجب ١٣٩٩هـ - يونيو ١٩٧٩م - بعنوان «سوال حائر يحتاج إلى جواب» و قد صور فيه بريشته البارعة التناقض العجيب الذى تعيشه الدول و المجتمعات الاسلامية ، و فى مقدمتها البلد الذى ثار على التناقض ، و على النفاق - بجميع ألوانه و أنواعه - لأول مرة فى التاريخ ، وقاد العالم الحائر المضطرب التى تتوزعه الغايات ، وتمزقه التناقضات ، إلى حياة لانفاق فيها ولا تناقض ، وقد تدفقت قريحته فى هذا المقال ، و فاض قلمه بالبيان العذب السلسال ، فكان آية فى دقة التصوير و براعة التعبير ، و قوة التأثير ، و تألم القلب و الضمير ، لا يسع القارىء إذا قرأ هذا المقال إلا أن يؤمن بصدقه و إخلاصه ويتمثل الواقع المؤلم - الذى تحدث عنه هذا المقال - بعينيه ، و يؤمن بفكرته و دعوته .

و ما ذلك إلا نتيجة التفاعل النفسى الذى نشأ و ترعرع عليه ، وهنا يطيب لى أن أنقل ما قلته فى تقديم كتابه «الاسلام الممتحن» بعد ما ذكرت خصائص

التربية المنزلية و مزايا البيئة الدينية المؤمنة ، التى تربى فيها .

نشأ هذا الشاب تحت ظلال هذه التربية ، وفى حجر هذه البيئة ، ثم لما عقل و ثقف ، و عاصر الأحداث ، فتح عينيه على مجتمع إسلامى حائر بين الاسلام و الجاهلية . و الدين والعلمانية ، قادة الفكرة فيه مذبذبون ، و أولياء الأمور فيه مضطربون ، وأكثرهم منافقون ، يتخذون الدين حيلة و وسيلة للوصول إلى كراسى الحكم ، وقنطرة للعبور إلى شاطئ السيادة و القيادة و الركوب على أعناق الشعوب المسلمة الساذجة التى لا تفهم إلا لغة القرآن و الحب والحنان ، و لا تتحرك و لا تتحمس ، إلا بحكاية الصحابة و أبطال الاسلام ، و فضائل الجهاد و الشهادة ..

و أحدثت هذه الجوانب المتناقضة - جانب تربيته و دراسته الاسلامية ، و جانب الواقع المرير و المشاهد القاسى - صراعاً فى نفسه ، حول قلمه إلى شلال يتدفق بقوة ، و ينحدر بقوة ، فصدرت هذه المقالات فى أسلوب قوى ملتهب ، هو نتيجة كل صراع نفسى رافقته قدرة بيانية ، و قلم سيال رشيق ، وثروة لغوية ، و هذا الأسلوب له قيمته فى إيقاظ الشعور ، و فى تحريك النفوس و العقول (١)

و هذا المقال هو صدى لهدير هذا الشلال ، و فيض من قلمه الرشيق السيال ، و شاء الله - لحكمة يعلمها - أن لا أطلع على هذا المقال فى حياة صاحبه ، مع تتبعى لماينشر فى مجلتنا «البعث الاسلامى» و حرصى على قراءة افتتاحياته القوية البليغة ، و حدث حادث وفاته و أنا فى السفر ، فما استرعى انتباهى إلى هذا المقال إلا ثناء الزميل الفاضل فضيلة الشيخ محمد منظور النعمانى رئيس تحرير مجلة «الفرقان» الذى أعجب به كل الاعجاب ، واقترح على صاحبه نقله إلى الأردية لينشره فى مجلته ، فلم تمهله المنية المفاجئة (٢) ، و لما قرأته تحسرت على عدم اطلاعى عليه فى حينه ،

(١) «الاسلام الممتحن» تقديم الكتاب ص ١٣ و ص ١٦

(٢) قام بهذه الترجمة ولد الفقيد الشاب عبد الله الحسنى الندوى ، ونشرت فى مجلة الفرقان عدد رمضان سنة ١٣٩٩هـ .

و قلت لبعض إخوانى : لو كنت قرأته فى حياة صاحبـــه لقبلت يده و ما بين عينيه ، وإن لم تجر العادة فى بلادنا أن يقبل الآباء أيدى أبنائهم (١) والأساتذة أيدى تلاميذهم فى هذه السن ، وهنأته و باركته على هذه الصراحة و على هذه البلاغة .

إن فاتنى هذا فلا يفوتنى أن أنشره على إثر وفاته فى رسالة مستقلة ، توسيعاً للنطاق ، وتعميماً للفائدة ، فيكون خير ذكرى له ، و اعترافاً لنبوغه ، و إجادته ، و ها هو بين يدى القراء .

و رأيت أن أضم إلى هذا المقال ثلاثة مقالات ، أولها : « مجتمع التنافس و مسئولية الدعاة » نشر فى عدد جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ من مجلة البعث الاسلامى، وثانيها : «سلامة العقيدة فى حاجة إلى سلامة الحضارة » المنشور فى عـــدد صفر ١٣٩٩هـ (يناير ١٩٧٩م) ثالثها : بعنوان « جامعة البعث الاسلامى » وهو آخر ما سطره بالعربية نشر فى صحيفة « الرائد » و فى مجلة « البعث » فى عدد رجب على إثر وفاته مباشرة ، تنشر الأخير بعنوان « تطابق يسر به المؤمنون » و بذلك تكمـــل الرسالة ، و يستقيم الميزان ، و يتضح الطريق ، فلا نريد إلا أن تنتقل الدول و المجتمعات الاسلامية من الحيرة المردية ، إلى الطمأنينة المرضية ، ومن التناقض الذى تحار فيه العيون ، إلى التطابق الذى يسر به المؤمنون « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم »

رحم الله الفقيد العزيز ، و تغمده برحمته و رضوانه ، و أسكنه فسيح جنانه .

(١) كان الفقيد رحمه الله ابن شقيق هذا الكاتب ، فهو محمد بن الدكتور السيد عبد العلى الحسنى (أمين ندوة العلماء العام) بن العلامة السيد عبد الحى الحسنى مؤلف العربية الكبير و صاحب كتاب « نزهـــة الخواطر » .

صور و أوضاع

هل لهذا السند الدينى من سند !

واضح رشيد الندوى

كان تنصيب التماثيل و وضع الصور والشغف الزائد بها موضوعاً من المواضيع التى تناولناها فى هذا الباب فى العدد الماضى الذى صدر فى رمضان ، وقد دار بنا الخيال فى ذلك التعليق إلى أن التصوير و نحت التماثيل و الشغف الزائد بها يعكس طبيعة الخنوع فى الانسان فلا توجد هذه الظاهرة إلا فى الأمم الوثنيـــة ، لأن التماثيل لا تعبر إلا عن الجمـــال أو عن القوه خيرها و شرها ، و هى لا تخلو فى أى حال من الأحوال من تأثير على طبيعة الانسان ، و قد كان لهذه الظاهرة المنتشرة فى مصر فى نظرنا تأثير على الطبيعـــة المصرية فناشدنا فى ذلك المقـــال علماء مصر أن يكافحوا هذه الظاهرة لأنها تتنافى مع الطبيعة الاسلامية للمجتمع .

و قد فوجئنا بعد صدور المجلة بمقابلة أجرتها مجلة آخر ساعة المصرية مع الشيخ أحمد حسن الباقورى رئيس جميعة الشبان المسلمين فى مصر حالياً ، و وزير الأوقاف و شئون الأزهر فى عهد جمال عبد الناصر ، و قد سألته المجـــلة عن رأيه فى التماثيل و الموسيقى و الغناء فقال الشيخ الباقورى : التماثيل أباحها الامام محمد عبده و هى تعتبر فناً معبراً ، أما عن الغناء ، فقـــد كان لرسول الله حاد أو منشد اسمه النجاشى ، وكان حسن الصوت لدرجة أن الرسول ﷺ كان يدلله « أنجشة » و كان إذا خرج خرج معه بعض نسائه و ركبن العيران ، ويغنى النجاشى فتسرح الابل ، و أضاف يقول « و إذا كان الجمل ينفعل بالغناء و الموسيقى فأين يقع الانسان من هذا إذن !

وقد بلغ حب الفن بالشيخ الباقورى حداً أجاز فيه التمثيل المسرحى و أعطى سنداً دينياً له على أساس الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية كقوله تعالى « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى الآية » و أجاز الشيخ الباقورى فى هذه المقابلة عرض فيلم الرسالة ، وقال : إن عرض سير عظماء الاسلام يؤدى دوراً هاماً فى خدمة الاسلام .

كانت المجلة قد اختارت مواضيع حساسة للغاية فسألته عن الأحوال الشخصية التى عدل قانونها فى مصر حالياً و أيدها علماء الأزهر ، فكان رد الشيخ الباقورى على هذا السؤال كرد العلماء الذين يشغلون مناصب عالية فلم يستطع أن يخرج من طابور العلماء الرسميين ، وقد ذكر فى هذه الصدد دليلا غريباً ، فقال عند ما طلبت منه مراسل المجلة بأن يقدم سنداً دينياً لمنع الزواج الثانى بدون إذن الزوجة الأولى : إن علياً كرم الله وجهه عند ما أراد أن يتزوج أخرى على فاطمة بنت الرسول ، وبعث إلى الرسول ﷺ ليستأذن فى أن يتزوج بنت الحكم بن هشام . فقال رسول الله ﷺ «فاطمة بضعة منى ما يسوؤنى يسوءها وما يفرحنى يفرحها ، إن أبا طالب يريد أن يتزوج عليها بنت أبى جهل ، و قد بعث يستأذننى ، و الله لا آذن والله ثم والله لا أذن إن كان يريد أن يتزوج بنت أبى جهل فليطلق فاطمة بنت محمد ،

استدل الشيخ الباقورى من هذه الرواية أن النبى ﷺ لم يأذن بالزواج الثانى و قد خفى على الشيخ أو أخفته المصلحة السياسية أن سبب منع الرسول ﷺ من الزواج الثانى كان اجتماع بنت الرسول ﷺ و بنت عدو الله و عـدو رسوله فى بيت واحد و هو كلام واضح المدلول لا يخفى على أحد .

و فى المقابلة أمور أخرى تدل على طبيعة التبعية و التخاذل أمام الحكومة و الحضارة الغربية و تياراتها .

لقد أصبح من وظيفة العلماء فى هذا العصر و خاصة العلماء المرتبطين بالدولة ، أن يقدموا سنداً دينياً لكل ما تتصرف فيه الحكومة ، يأولوا الاتجاهات السياسية المعادية لروح الدين و الأخلاق لأنهم يخافون تهمة التخلف ، وهى عقدة نفسية تحملهم على الادعاء بأن دينهم يساير ركب الحياة المعاصرة فى أفكارها ، ومظاهرها .

عاد مراسل المجلة مقتنعاً لأنه حصل على سند دينى لتعديل الأحوال الشخصية و سند دينى للتمثيل المسرحى ، و سند دينى لعرض فيلم الرسالة و عرض الصحابة على المسرح و الشاشة ، و سند دينى للتماثيل والغناء والموسيقى ، فلا يمكن أن يتصور سروره و اغتباطه بمكاسبه فاكتفى بهذه الأسئلة و لم يثر مسألة الرقص ، و الملاهى و العلاقات الجنسية ، و الاختلاط العام بين الرجال و النساء ، و مسائل أخرى يثيرها الكتاب المصريون فى كتاباتهم ، وإلا لوجد سنداً دينياً لسائر هذه المشاكل أما الحجاب ، و اللحية ، و المظهر الاسلامى فان العلماء فى البلاد العربية ، و على رأسهم علماء مصر قد سايروا فيها التقدم الحضارى منذ فجر الحضارة الغربية الاستعمارية .

إن موقف التخاذل و التهاون فى أوساط العلماء مسئول إلى حد كبير عن تغلب الأفكار المعادية لطبيعة الاسلام لأن رواد العلماء فى مصر منذ النهضة الأخيرة اتخذوا موقفاً اعتذارياً ، و اختارت طبقة منهم موقف مسايرة الأفكار الغازية ، و متابعة الحياة الغربية ، و تأويل النصوص لتطبيقها فلم يقيموا سداً منيعاً فى طريق الأفكار المستوردة فذابت الشخصية الاسلامية فى كثير من البلاد العربية .

كانت مأساة العالم العربى أن دعاة الهدم و الثورة على القيم فيه أكثر نشاطاً و وعياً ، و إدراكا لوسائل تحقيق مآربهم ، و أكثر قوة ، و تغذية . و شعوراً بالمسئولية من دعاة البناء ، فكلما أصيبت حركات الدعوة إلى الاسلام الحقيقى بنكسة وجدت نفسها وحيدة فى ساحتها ، لأن العلماء الذين يستطيعون أن يكونوا كتلة قوية للمقاومة و مواجهة دسائس أعداء الدين ينسحبون فى المعركة ، حباً للسلامة والعافية و احتفاظاً بمناصبهم .

كان لانسحاب العلماء عن المعركة بين الحق و الباطل أو موقف الحياد فى مناسبات حاسمة تقرر مصير الأمة الاسلامية ، دور كبير فى تحطم روح المقاومة الاسلامية فى البلاد العربية فان التاريخ يشهد أن العلماء و رجال الدين كلما تصدوا للتيارات الجارفة بمسئولية و وعى حولوا مجرى التاريخ و قلبوا الموازين ،

فقد أحدث هذا الموقف الاعتذارى فى أوساط العلماء ردود فعل فى الجيل الجديد الذى يريد أن يمثل الاسلام دوره فى الحياة ، فقامت فيه حركات ومنظمات للدعوة إلى الفكر الاسلامى و تمثيله فى الحياة تمثيلا صادقاً ، و يلاحظ هذا التطور فى الشباب المسلم فى البلاد العربية ، و فى مصر كذلك ، ويستطيع أى زائر لمصر أن يشاهد آثار الصلابة ، و تمثيل الاسلام فى الفكر و الحياة ، فى الشباب الجامعى، كان من طبيعة هذا الوضع أن يوجد فى هذا الجيل شعور بالخيبة و عدم الثقة بتلك الطبقة من العلماء التى تدعى الدين و تحترف به و تسعى وراء المناصب و تتزلف إلى الحكام . و تتسامح مع الدسائس ضد القيم الاسلامية .

لقد ظهرت بوادر انقلاب فى الفكر ، و نشأت فى البلاد الاسلامية طبقة من الشباب المسلم الداعى التى لا تخاف فى الله لومة لائم ، و لا تبالى بالتضحيات التى تعرض فى سبيل الدعوة .

و هذه الطبقة هى التى تكافح و تجاهد فى سبيل الله و لكنها تحتاج إلى توجيه دينى ، و دعم علمى و إرشاد من العلماء الذين لا يحجمون عن المخاطرة ، و لا يترددون فى تحمل المسئولية واحتمال المكاره فى سبيل الدعوة ، و إذا اجتمعت هاتان القوتان فالنصر حليفهم .

صار مزبلة للتاريخ

أقصى رئيس النظام الشيوعى الأفغانى ترقى من الحكم إثر انقلاب عسكرى ذهب ضحيته عدد كبير من أنصاره، فور عودته من مؤتمر دول عدم الانحياز فى هوانا ،

البقية على ص ١٠٠

الشيخ عبد السلام القدوائى الندوى

فى ذمة الله و التاريخ

سعيد الأعظمى الندوى

كان حادث وفاة الشيخ عبد السلام القدوائى - رحمه الله - مفاجأة حزينة و نظير الحادثين الكبيرين اللذين سبقاه بشهرين ، و علم بهما القراء من خلال ما كتب حولهما فى مجلة « البعث الاسلامى » نفسها ، فقد استأثرت رحمة الله تعالى بأخينا الحبيب و صديقنا المرحوم الأستاذ محمد الحسنى (رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامى) فى ١٨ من شهر رجب المنصرم عام ١٣٩٩هـ ، و انتقل إلى رحمة الله تعالى بعد ذلك بأربعة أسابيع أخونا الكريم الأستاذ محمد إسحاق جليس الندوى (رئيس تحرير صحيفة « تعمير حياة ») ، و ذلك فى ١٥ شعبان الماضى ١٣٩٩هـ وما هى إلا مدة يسيرة مضت على هاتين الفاجعتين إذ لبى نداء ربه فى ٣٠ رمضان ١٣٩٩هـ فضيلة مولانا الشيخ عبد السلام القدوائى الندوى مدير شئون التعليم لدار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ (الهند) والمستشار العلمى لمؤسسة دار المصنفين بأعظم كره (الهند) أكبر مجمع أكاديمى إسلامى فى هذه البلاد (فانا لله و إنا إليه راجعون)

و الواقع أن نبأ وفاته المفاجئ إنما كان بمثابة صاعقة نزلت بأسرة ندوة العلماء و خاصة برئيسها العام سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الندوى الذى كانت بينه و بين المرحوم صلة وثيقة قديمة للزمالة والصداقة ، فقد كانا زميلين فى أيام الدراسة وصديقين موازرين أيام العمل والتدريس فى دار العلوم ندوة العلماء يتبادلان الحب و الثقة فى جميع الشئون والأعمال التى كانا يقومان بها ، و لما أسس الشيخ القدوائى

فى أوائل الأربعينات فى لكهنؤ جمعية باسم « إدارة تعليمات إسلام » خاصة بأولئك المثقفين من المسلمين الذين كانوا يتولون وظائف عالية فى دوائر الحكومة ، وكانت عندهم رغبة فى فهم القرآن وتعلم اللغة العربية ، لكى يلقى عليهم دروس القرآن ويعلمهم اللغة العربية بطريقة سهلة ، بالدروس العربية التى كان قد وضعها باسم « عشرة دروس للعربية » كان سماحة الشيخ الندوى يقدم له كل نوع من التعاون و المشورة ، و أصدرت هذه الجمعية صحيفة أسبوعية تحمل اسم « تعمير » برئاسة تحرير الزميلين الصديقين ، استمرت فى أداء رسالتها من التوجيه الاسلامى والتربية الدينية إلى مدة لا بأس بها .

وفى عام ١٩٥١م انتدبته الجامعة الملية الاسلامية فى دلهى كرئيس للقسم الدينى و الدراسات الاسلامية فى الجامعة نظراً إلى مكانته العلمية والدينية و خدماته الجليلة فى مجال التعليم و التربية ، فقبل هذه الرئاسة مشكوراً ، و شغل هذا المنصب الدينى و التربوى حتى أيام تقاعده ، و ما قصر فى أداء مسئوليته التى تحملها من تربية و تعليم الشباب المسلم و تثقيفهم ثقافة إسلامية ، و عاش فى الجامعة و أوساطها ما عاش مبجلا مكرماً يحبه الناس طلاباً و أساتذة ويتناولونه بالتقدير و الاعجاب .

و على رغم أنه كان قد عزل نفسه عن مسئولياته فى دار العلوم لأسباب شخصية إلا أنه كان متصلا بها تمام الاتصال روحياً و فكرياً و عقلياً وثقافياً ، فكان شديد الاهتمام بكل ما يرفع قيمة ندوة العلماء و يزيد أهميتها فى الأوساط العلمية و الفكرية و الثقافية ، وكان يتفقد أوضاعها و جهود المسئولين عنها فى مختلف المجالات و النشاطات ، و ما هى إلا مدة يسيرة إذ طلب إليه أعضاء ندوة العلماء وعلى رأسهم سماحة مولانا الشيخ الندوى أن يقدم مساعدته العملية فى شئون التعليم و التربية لدار العلوم و يشغل منصب معتمد التعليم فلبى ذلك الطلب و تصدى لأداء

مسئوليته نحو هذه المهمة ، و ما قصر فى تهيئة الوسائل و الأسباب التى ترفع مستوى طلاب دار العلوم فى التعليم و الدراسة و تزيد فى أعينهم قيمة هذه العلوم الشرعية وضرورتها فى الوقت الحاضر ، وكان يتمنى أن يراهم متسلحين بالعلم و الثقافة و بجميع ما يحتاجون إليه من الفكر الرفيع والفهم الصحيح لمواجهة تيارات الحضارات و الثقافات الحديثة فى مجال الدعوة إلى الله ، و إثبات فضل الاسلام و رسالته فى النهوض بالانسان من حضيض الشهوات و الأهواء وإنقاذه من جحيم المادية و الأنانية والأبيقورية ، فكان حريصاً على أن يرى طلابه فى أعلى منزلة من الموضوعية المطلوبة ، عارفين بقصدهم ، مهتمين بتحقيق غايتهم ، متحملين فى سبيل ذلك كل المشاق و المتاعب ، غير مبالين بالتضحية بالوقت و الصحة و المال ، فكان يترقب من الطلاب أن يتحدثوا إليه عن مشكلاتهم و قضاياهم فيما إذا كانت هناك مشكلات و عقبات فى طريقهم لكى يدبر فى حلها و تذليلها ، أو يشير عليهم بما يزيل عنهم مركب النقص ، أو الشعور بالعجز وقصر الباع فى سبيل العلم ، كما كان يتفقد أحوال الأساتذة و المدرسين ويشير عليهم إشارات مفيدة . وينصح لهم كامل النصح و يستشيرهم فيما يشجع الطلاب ، و يرفع هممهم ، و يعينهم على التوصل إلى الغاية المطلوبة .

هذا بالاضافة إلى عنايته الشديدة بوضع المنهج الدراسى الذى يفيد الطلبة فى جميع المراحل من التعليم و يتكفل رفع مستواهم الدراسى و الفكرى ، فكان يتناوله بالدراسة دائماً وبالتنقيح و التهذيب والحذف و الزيادة ، ذلك لأنه كان يعتقد أن المناهج الدراسية متطورة فى كل زمان فيجب أن يستجيب للتغيرات و التطورات و التحديات التى تواجه الحياة الانسانية و التاريخ البشرى على مدار التاريخ ، وهو فى هذه الناحية لم يكن يتقيد بالعادات و التقاليد المتوارثة بل كان يتطلع إلى الأفق

البعيد ويشاهد كل ما كان يعاصره من أحداث وتطورات ، إذا أغفلها العالم المسلم عن قصد وعلم لا يتمكن من تمثيل دوره المطلوب ومن أداء وظيفته فى العالم المعاصر ، و من هنا كان الفقيد ذا بصيرة نافذة وعقلية واسعة فى جميع مجالات الحياة والنشاط خاصة كان له شغف زائد بأهداف ندوة العلماء ورسالتها ، و كان يراها حاجة العالم الواعى الذى يريد أن يعيش فى العالم ، و ينظر إلى الحياة و الكون و الانسان من خلال رسالة الاسلام و دعوته و تاريخه ، و كان يحب ندوة العلماء ، بل يتفانى فى حبها و يتمنى أن يبذل فى سبيل خدمتها كل رخيص و غال من غير أن يبخل بأى شئ مما كان يملكه من مال وكفاءة و حياة ، ولا أدل على ذلك من كلمته التى ألقاها فى المهرجان التعليمى الذى أقامته ندوة العلماء قبل اليوم بأربع سنوات ، يقول :

« نحن القائمين على شئون ندوة العلماء سوف نكون مقصرين فى أداء الواجب نحو جيلنا المعاصر و أجيالنا القادمة إذا اعتبرنا هذه الأعمال التى تحققت حتى الآن منتهى مسيرتنا وغاية مصيرنا ، لا و الله ! بل نحن لا نزال فى وسط الطريق و أمامنا مجال فسيح يتطلب العزم و الطموح و الصمود ، كان مؤسو هذه الدار يهدفون إلى تخريج علماء ربانيين بارزين فى علوم التوحيد و الفقه باحثين فى التاريخ و السيرة و الأدب ، حتى يستطيعوا مجابهة الغزو الفكرى على الدين ، و الحق أن العلوم الدينية المتداولة ودراستها فى مدارس العلوم ستبقى محـــدودة إن لم تمسها يد البحوث و الثقافة الموضوعية ، والأمر يتطلب إلى وجود معهد للبحوث العلمية تتوفر فيه التسهيلات اللازمة للباحثين وينقطع عدد مختار من الطلبة إلى البحث و التحقيق ، و إنشاء مثل هذا المعهد لمثل هذه الدار ، دار العلوم ندوة العلماء سد لفراغ هائل لم تساعد ظروف ثلاثين سنة فى ملئه و قد آلت الأمانة إلى أيدينا ، و نحن نشعر أننا سنكون مسئولين عما إذا استطاع الأعداء أن يغزوا شبابنا و يضللوا أفراد أمتنا

و بقينا مكتوفى الأيدى صامتين متواكلين ، وبجانب إنشاء معهد للبحوث والتحقيقات تتطلب طبيعة ندوة العلماء أن تكون فى حرمها كلية لتربية و تدريب المعلمين والموجهين و الاداريين و العاملين فى الحقول الاجتماعية و الدينية .

و بفضل الله تعالى يوجد الآن اتجاه فى الدول الغربية (أوربا و أمريكا و أفريقيا وفى الهند نفسها) إلى التعرف على الاسلام و تزداد الرغبة فى الاستزادة من مطالعة الاسلام و دراستـــه ، و إننا نتلقى رسائل كثيرة من أوربا و أمريكا و أفريقيا ، يعرب فيها الكاتبون عن شوقهم و رغبتهم فى تعلم الاسلام و دراسة تعاليمه ، و من يعتنق الاسلام منهم يحرص على التزود بمبادىء الاسلام و تعاليمه فيعرب عن الرغبة فى قضاء وقت فى معهد أو مركز تربية لارواء غليله ، بل ليصبح نموذجاً وأسوة طيبة وداعياً إلى الاسلام على بصيرة دينية ، إن إنشاء مثل هذا المركز حاجة ملحة لهذا الزمان ، و فرض كفاية للمسلمين جميعاً حيث توجد حياة إسلامية جاذبة مع وجود جو دينى يشرف عليه أساتذة مدربون ، مطلعون على طريق الدعوة بالحكمة ، و تاريخ الصحف السماوية ، و يكونون قد درسوا الأديان دراسة مقارنة و اللغات المختلفة التى يتكلم بها رجال هذه الأديان » .

هذا المقتطف من كلمته إن دل على شئ فانما يدل على نظرته الواسعة وبصيرته الدينية و اطلاعه الواسع و تحرقه على الأوضاع ، وتطلعاته فى ندوة العلماء وتوسيع نطاقها لخدمة الدعوة الاسلامية و تخريج جيل مسلم عالم داع واع بمعنى الكلمة .

و قدر له فى الأعوام الأخيرة من حياته أن يقيم فى مجمع « دار المصنفين » بأعظم كره ، و ذلك عندما اختاره المجلس التنفيذى مستشاراً علمياً للمجمع بعد وفاة مديره الشيخ معين الدين أحمد الندوى ، ورجامنه سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن الندوى أن يقبل هذا الطلب ، ففعل ، و قضى فى « دار المصنفين » وقتاً طيباً بين نشاط

على و تربية دينية و توجيه دعوى . و فى مدة يسيرة نال إعجاب الناس وتقديرهم وخاصة التف حوله الشباب المثقف ، فكان يتناولهم بالتربية ويعلمهم الدين والأخلاق ، و يذكرهم بوظيفتهم فى الحيـــاة ، مكث فى دار المصنفين ما مكث محبوباً مقبولا ، ومشغولا بأعمال مفيدة وقائماً بخطوات موفقـة فى حقل التأليف و البحث و الدراسة و تدريب المؤلفين و الباحثين ، مع مشاركته فى تحرير مجلة « معارف » الشهرية و تقديم مساعدته العلمية لزميله الأستاذ صباح الدين عبد الرحمن مدير المجمع .

و كان من شدة شعوره بالمسئولية يشتغل أكثر من اللازم بأعماله و لا يهدأ ما لم يودها فى أمانة تامة ، و ما لم يطمئن ضميره ، و لذلك كان يتردد دائماً بين لكهنؤ و أعظم كره ، و لا يزور أولاده وأفراد عائلته إلا نادراً ، وفى أيام أجازة عامة، وقد تعود منذ أن أقام فى أعظم كره أن يقضى الشهر المبارك فى « دارالمصنفين» و يعيد هناك ، ثم يزور لكهنؤ و يقضى بعض الوقت فى مضيف دار العلوم لندوة العلماء و يزور سماحة الشيخ الندوى فى قريته و يتبادل معه الأفكار و الآراء حول شئون التعليم و التربية فى ندوة العلماء .

و لكنه فى أواخر رمضان هذا العام وجد فى نفسه نزوعاً إلى قريته التى هى فى رأى بريلى و اسمها (توليندى) و قرر السفر بمناسبة العيد إلى القرية فجاءة فى ٢٨/ رمضان ، و سافر و معه أهله بالسيارة إلى القرية ، و لكن هذا السفر كان متعباً له ، و وصل إلى القرية و هولاغب و صائم ، و فى اليوم التالى وجد فى نفسه نشاطاً و خفة ، و كتب رسالة إلى صديقه سماحة الشيخ الندوى يخبره بعودته إلى القرية و بزيارته له بعد العيد مباشرة .

ولكن فاجأه ليلة الثلاثين من رمضان ضغط كبير فى الدم أدى إلى نوع شلل فى الجانب الأيسر من جسمه و مع ذلك فقد كان متفائلا و تسحر و صلى حسب

العادة و أيقظ أهله للسحور ، وأصبح صائماً إلا أن المرض ما زال يتزايد وأرسل الخبر بذلك إلى سماحة الشيخ الندوى الذى كان معتكفاً فى مسجد قريتـه ، فبادر بتدبير العلاج و بعث إليه أحد الأطباء الكبار لكى يعالجه ، و لكن أمر الله كان قدراً مقدوراً ، و وصل الطبيب إلى القرية وكان قد لحق الشيخ عبد السلام بالرفيق الأعلى ، و تم ما أراد الله « فانا لله و إنا إليه راجعون » .

كان الفقيد من كبار أهل العلم و الأدب و التاريخ و كانت له بصيرة بالأمور والحقائق ، و اطلاع على الأحوال و الأحداث ، و كان من أنجب تلاميذ العلامة السيد سليمان الندوى و المحدث الكبير الشيخ حيدر حسن خان ، و هو على عمق نظره و سلامـــة تفكيره و غزارة مادته كان ذا أخلاق عالية و فضائل إنسانيـة ، يعامل كل صغير و كبير بغاية من اللطف و الشفقة والأدب ، و كان آية فى الحزم و الصلاح و الفراسة مع تصلبه فى العقائد و تورعه فى ذات الله ، و قد رأيته فى بعض المواقف و هو من أخلص عباد الله لله وأتقاهم قلباً وأنقاهم نفساً .

وله آثار علمية تاريخية تدل على ما كان يتمع به من خصائص علمية و أدبية و تاريخية ، منها كتاب فى التاريخ الاسلامى باسم (عمارى بادشاهى) يعنى كيف كان حكما ، و (هندوستان كى كهانى) يحتوى تاريخ الهند بايجاز ، و (دنيا اسلام كے پہلے اور اسكے بعد) « العالم قبل الاسلام و بعده » وكان قد بدأ تلخيص الجزء الأول من « سيرة النبى » للعلامة شبلى النعمانى ولكن لم تمهله المنية أن يتم هذا العمل ، وكذلك له مقالات و بحوث لها قيمتها العلمية و التاريخية .

رحمه الله رحمة واسعة و أسكنه فسيح جنانه

بقية المنشور على ص ٩٢

وكان نور محمد ترقى قد عرج على موسكو فى طريقه إلى الوطن ، ولم يكن هناك أى أمارة لحدوث الانقلاب ، فكان الانقلاب مفاجأة الكثير ممن كانوا يتابعون الوضع فى أفغانستان لأن الانقلاب فى هذه المرحلة التى يمربها أفغانستان يحمل احتمالات متعددة ، متناقضة ، وله إيجابيات وسلبيات كثيرة ، فقد كان نظام الحكم منذعدة شهور محصوراً فى العاصمة والأجزاء المتصلة بها ، بعد أن قطع المجاهدون الطرق الرئيسية للواصلات وكان الممرالذى يصل أفغانستان بالاتحاد السوفياتى عرضة للهجمات المتكررة ، وقد قطع عدة مرات ، ودخل الثوار الاسلاميون فى العاصمة واشتبكوا مع القوات الحكومية ، بالاضافة إلى ذلك كان هناك تطور آخر ملأ قلوب المناصرين للنظام الشيوعى فى أفغانستان هيبة ، وزعزع ثقتهم فى القوات المسلحة وهو انضمام أفواج من الجنود و الضباط الأفغانيين إلى قوات المجاهدين بعدتهم وعتادهم ، ما أدى إلى رفع الروح المعنوية للمجاهدين وتحطمها فى الأوساط الحكومية ، كان نور محمد ترقى يعيش فى حالة عصبية متوترة ، ولعل محادثاته التى أجراها مع الرئيس ضياء الحق فى هوانا قد كشفت عن نقاط الضعف والاستكانة فى موقفه و ظهرت منه آثار الانهيار العصبى فى صدد مقاومة الخطر المحدق به من كل جانب ، وتفرس الروس هذا الخطر فحاولوا أن يسندوا نظامهم قبل انهياره ، فاتخذوا قراراً عاجلا لتغيير الأيدى كما تدل عليه التقارير الأولى لوكالات الأنباء بأن الزعم الجديد رجل متطرف وأكثر صلابة وقساوة من الرئيس المعزول ، ويحتمل أن يتدخل الاتحاد السوفياتى فى أفغانستان تدخلا مكشوفاً لتحويل مجرى الأمور .

و مهما تكن النتائج فان المجاهدين الأفغان قد أثبتوا معدنهم ، و سيكون مصير ترقى فاتحة لعين سائر الحكام فى العالم الاسلامى الذين يعتمدون فى بقائهم على القوى الخارجية و يخونون شعبهم ، و دينهم و ضميرهم .